الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1115
2022/10/11

إدوارد سعيد
وطباق محمود درويش

هل الشرق
بمرتبة أدنى..؟

الحوراني: الأمة القوية
تحسن بناء ثقافتها

لامارتين ودمشق

ملف العدد

الإبداع

ضرورة ٢-٢

أول الكلام

استشراق الخيمة

▪ ديب علي حسن

مرّت منذ أيام ذكرى رحيل المفكر العربي الفلسطيني ادوارد سعيد صاحب كتاب الاستشراق الشهير الذي فكك وعرى هذا المفهوم الاستعماري ذا اللبوس المتلون من السياحة إلى الثقافة إلى الاجتماع .

عراه بمنهج علمي محكم ومتوقن وبين النوايا والدوافع التي كانت وراء أن يشد من يسمون أنفسهم رحالة غربيين إلى الصحراء والمدن العربية .

يحولون الوديان والوهاد يتحملون مخاطر الصحراء وغزو اللصوص ..أسرتهم خيام .

بعضهم من باب الانغماس في الدور استعرب واتخذ اسماً عربياً ..

والنتيجة انهم استطاعوا أن يقرؤوا المجتمع الشرقي ويعرفون نقاط قوته وضعفه..

بكل الاحوال حاول إدوارد سعيد تفكيك هذا المصطلح واظهر شناعة أساليب الاستعمار الغربي في الغزو الذي بدأ استشراقا ثم غزوا مباشرا والان تطورت وسائله ولم تعد الرحلات ولا الخيم أدواته..

التقنيات الحديثة من مشتقات مواقع التواصل الاجتماعي هي السياحة الزرقاء...

ومن الملاحظ أن الكثير ممن يدعون البحث في التاريخ القريب يتخذون من كتب الرحالة الغربيين مراجع لهم لا يأبهون لما فيها من دس ومغالطات وضعت لتكون حقول الغام متفجرة ..وقد اتت بعض أكلها في الفتنة وتشويه المجتمعات ..

نحتاج اليوم عقلا بحجم ما فعله إدوارد سعيد ليفكك هذا الاستشراق الازرق الأكثر خطورة وفتكا مما مضى.

وبالتأكيد سوف يتعرض لما تعرض له سعيد من الاهل قبل الأعداء.. ولكنه على أرض الواقع حفر مجرى عميقا مازال مثارا للنقاش.

رئيس التحرير
أحمد حمادة
مدير التحرير
معد عيسى
إشراف
ديب علي حسن
الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

تاريخ

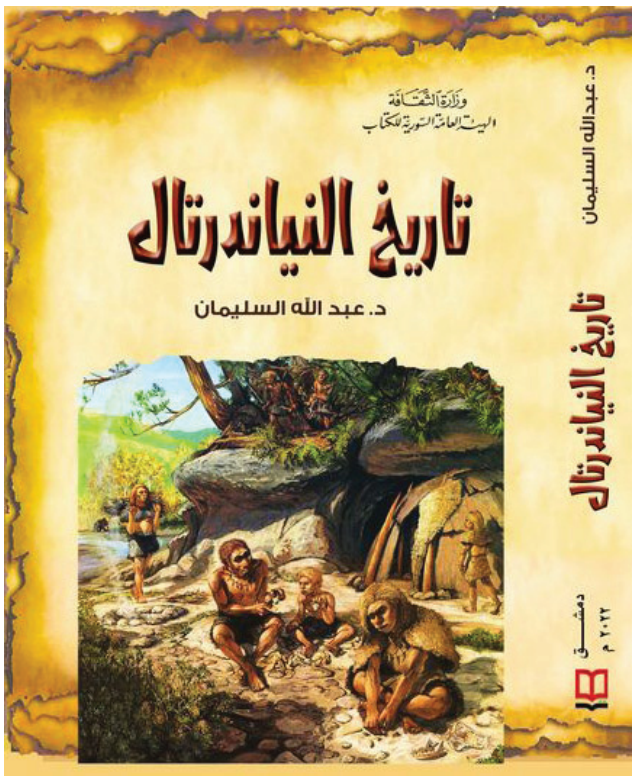

ثمة غموض ولبس يحيط بتاريخ الإنسان الأول على الأرض يحاول العلماء فكه والوصول إلى بعض شيفراته، ومن هذه الدراسات المهمة التي استندت على أحدث كتاب المراجع .

(تاريخ النياندرتال)، تأليف: د.عبد الله السليمان.

وقد صدر حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب

إن النياندرتال من أقوام ما قبل التاريخ، عاشوا في العصر الحجري القديم – الأوسط (المؤرخ ٢٠٠ – ٣٥ سنة خلت) في أوروبا والشرق الأدنى، واكتسبوا اسمهم من وادي النياندر بألمانيا، حيث اكتُشف أول هيكل عظمي لهم في سنة ١٨٥٦، عندما عُثر على ١٤ قطعة عظمية في كهف فيلدوفر، درسها عالم الأحياء الألماني «فلروت»، الذي أدرك أنها لإنسان ما قبل التاريخ، وحينئذ جهد العلماء لتعرّف حياة هذه الأقوام وأنماط سلوكهم وبنية أجسادهم.

كتاب (تاريخ النياندرتال)، تأليف: د.عبد الله السليمان، يقع في ٧٧٢ صفحة من القطع الكبير، صادر حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب ٢٠٢٢

في يوم المترجم العالمي..

تعقد الندوات البحثية كلّ عام في نهاية شهر أيلول بمناسبة اليوم العالمي للترجمة وقد كانت وزارة الثقافة السورية قد عقدت هذه الندوة نهاية الشهر الماضي وخلصت إلى توصيات كثيرة ، ومن مصر أيضاً حيث النشاط الترجمي المهم يمكن الوقوف على القضايا نفسها والحديث عما يعانيه المترجم العربي.

و مازالت صناعة الترجمة فى مصر والبلاد العربية فى حالة تأخر وقصور شديدة، وعاجزة عن نقل الكثير من المعارف، والآداب من وإلى العربية.

الدكتورة كرمة سامى مدير المركز القومى للترجمة تقول في حوار أجري معها ونشرته جريدة أخبار الأدب :

بالنسبة لمن يريد العمل بالترجمة فعليه مبدئياً التدريب الشاق بشكّل شخصي وطلب المساعدة من محترفي الترجمة لأنه لا توجد أي مؤسسة تهتم برعاية المترجمين أو تدريبهم، ثم عليه أن يقبل بالفتات الذي تجود به عليه مكاتب الترجمة التى عادة ما تستغل كونه حديث التخرج ودون خبرة وفي الغالب لا يحصل على مقابل مادي لأولى تجاربه في الترجمة مقابل التعلم، وحتى بالنسبة لمن يستطيع الصمود عدة سنوات أخرى يكون قد اكتسب فيها قدراً جيداً من الخبرة، يظل العائد المادي من الترجمة زهيداً للغاية ولا يمكن لأحد أن يعتمد عليه كمصدر وحيد للدخل، بل ليس كافياً لإقناع الكثير من الأسر للقبول به زوجاً لإحدى بناتهم.

مما سبق يتضح أن عدم وجود مؤسسة ترعى المترجمين عموماً أو حتى تقدّم تدريباً لمبتدئيهم، علاوة على ضعف المردود المادي بالنسبة لمن يستطيعون الصمود بضعة سنوات أخرى، كلّها أسباب تؤدي إلى هجر مهنة الترجمة مبكراً. تجدر الملاحظة أننى في هذا الجزء أتحدث عمن أرادوا العمل بشكّل حرّ من خلال مكاتب الترجمة المنتشرة والتي لا تخرج المواد التي تتطلب ترجمتها عن شهادات الميلاد والزواج والطلاق ليقدّمها أصحابها في الغالب للسفارات الأجنبية طلباً لتأشيرات السفر والتى لا تقدّم خبرات كبيرة للمترجمين.

لا شك في أن انتشار وسائل الاتصال والانترنت حديثاً سهل من إمكانية إيجاد عمل للمترجمين خارج حدود أوطانهم حيث تكون الأسعار أكثر عدلاً من الداخل ولكن تظل محدودية الفرص هي أكبر العوائق أمام من يريد الاستمرار في هذه المهنة.للتغلب على مشكلة الحقوق يلجأ الكثير من المترجمين الجدد لترجمة نصوص قديمة تكون حقوقها قد سقطت بالتقادم وأصبحت ملكية عامة والتي تصل إلى خمسين عاماً بعد وفاة كاتبها، علماً بأن هذه النسبة قد تزيد في بعض البلدان مثل إسبانيا التى تصل فيها إلى ٨٠ سنة. هنا تبرز بعض المعضلات منها عدم وجود نص جيد لأن النصوص الجيدة والمشهورة تكون قد تُرجمت في الغالب. المشكلة الثانية: هي كيفية الحصول على العمل في حال التأكد من عدم ترجمته من قبل وصلاحيته للترجمة، وفي حالة عدم وجود نسخة بصيغة PDF متاحة على الإنترنت أو حتى إمكانية شرائها من بعض المواقع مثل أمازون فلربما توجب على المترجم أن ينسى الموضوع برمته. ثم تأتى مشكلة صعوبة اللغة، فترجمة نص مرّعليه ثمانون عاماً بالنسبة لمترجم مبتدئ يظل أمراً شاقاً لما ينطوى عليه الأمر من تقادم استخدام بعض المفردات والصيغ ومع ذلك فهذا الأمر بالنسبة لعاشقي الترجمة يظل أيسر المشاكل.

توجد بمصر الآن الكثير من دور النشر الخاصة التي تعنى بالترجمة ،ولديها متخصصين يقومون بإنهاء هذه المشكلة ولكن في المقابل يبخسون المترجم حقّه بل في كثير من الحالات لا يحصل المترجم على أي عائد مادي خاصة أصحاب التجارب الأولى والذين فقط يكتفون بتلك المتعة السحرية التي يشعرون بها عندما يرون أسماءهم كمترجمين مطبوعة على العمل المترجم.

أمام هذا التوجه الذي تمارسه دور النشر الخاصة يهرع المترجمون للمؤسسات الحكومية التي تعنى بالترجمة مثل المركز القومي للترجمة وسلسلة الجوائز التي تصدر عن الهيئة العامة للكتاب.

-يشعر الكثير من المترجمين الشباب بأن هذه المؤسسات أصبحت نوادي شبه مغلقة على أسماء بعينها سواء من داخل الحقل الجامعي أو خارجه والذين نشعر بعد قراءة أعمالهم أنهم لم يكونوا أفضل الاختيارات.

-اقتصار الترجمات على موضوعات بعينها وعدم التنوع في الاختيارات وأبرز مثال على ذلك هو كم الكتب التي تُرجمت عن الموريسكيين وطرد المسلمين من إسبانيا عموماً.

-الروتين الحكومي الذي يتسبب في تأخيرعمليات الطباعة والنشر.

-ضعف العائد المادي وبالتالي لا يمثل حافزاً للمترجم للاستمرار لاحقاً.

يتبقى أمران هامان قبل أن أنهي هذا المقال، الأول هو ضرورة إيجاد آلية للربط بين البلاد العربية فيما يخص الترجمة ففي كثير من الأحيان وبعد الكثير من البحث عن عمل يصلح للترجمة يكتشف المترجم أن العمل قد تُرجم في بعض البلاد العربية الأخرى ويأتى ذلك بالمصادفة البحتة لعدم وجود أرشيف للأعمال المترجمة إلى العربية، وأرشح جامعة الدول العربية للقيام بهذا الدور.

الأمر الأخير هو ما لفت إليه الأديب الكبير الأستاذ إبراهيم عبد المجيد في إحدى مقالاته البديعة فى أخبار الأديب عن ضرورة الاهتمام بترجمة الأدب المصرى والعربى عموماً إلى اللغات الأخرى، فالعالم يعرف الكثير عن ماضينا وواقعنا.

كتاب العدد

حسب الترتيب الهجائي

حبيب ابراهيم
حسام حمدان
رنا سلوم
سلوى الحلو
ساندرا عفش
عبد الحكيم مرزوق
عبد الحميد غانم
فاتن دعبول
قصي عطية
لينا كيلاني
مها محمد

إدوارد سعيد وطباق محمود درويش

تمر هذه الأيام ذكرى ولادة ورحيل اداورد سعيد لفترات متقاربة ولد إدوارد سعيد ١٩٣٥في القدس وهو مُنظر أدبي عربي من أصل فلسطيني-أميركي. يعد أحد أهم المثقفين الفلسطينيين وحتى العرب في القرن العشرين سواء من حيث عمق تأثيره أم من حيث تنوع نشاطاته، بل ثمة من يعتبره واحداً من أهم عشرة مفكرين تأثيراً في القرن العشرين. كان أستاذاً جامعياً للنقد الأدبي والأدب المقارن في جامعة كولومبيا في نيويورك ومن الشخصيات المؤسسة لدراسات ما بعد الاستعمارية (ما بعد الكولونيالية).ومدافعاً عن حقوق الإنسان للشعب الفلسطيني، وقد وصفه روبرت فيسك بأنه أكثر صوت فعالٍ في الدفاع عن القضية الفلسطينية.

حصد الكثير من الجوائز منها

جائزة أميرة أشتوريس للكنونكورد «لغات أخرى» (٢٠٠٢)
جائزة أنسفيلد - وولف «لغات أخرى» (٢٠٠٠)
جائزة نونينو الدولية «لغات أخرى» (١٩٩٦)
جائزة الكتاب الأمريكي (١٩٩٦)
زمالة غوغنهايم (١٩٧٢)

كان إدوارد سعيد من الشخصيات المؤثرة في النقد الحضاري والأدب

قال ادوارد سعيد « أنا فلسطيني ولكني طردت منها منذ الطفولة، وأقمت في مصر دون أن أصبح مصرياً، وأنا عربي، واسمي الأول «إدوارد» رغم أن كنيتي «سعيد» !»

عندها كتب درويش ليصيغ ما قال إدوارد سعيد في قصيدته الرائعة («طباق إلى إدوارد سعيد»):

يقول: أنا من هناك. أنا من هنا
ولستُ هناك، ولستُ هنا.
لي اسمان يلتقيان ويفترقان...
وَلي لُغَتان، نسيتُ بأيِّهما
كنتَ أحلَمُ،
لي لُغةٌ انكليزيّةٌ للكتابةِ
طيّعةُ المفرداتِ،
ولي لُغَةٌ من حوارِ السماء
مع القدس، فضيّةُ النَبْرِ
لكنها لا تُطيع مُخَيّلتي
والهويّةُ؟ قُلْتُ فقال: دفاعٌ عن الذات...
إنّ الهوية بنتُ الولادة لكنها
في النهاية إبداعُ صاحبها، لا
وراثة ماضٍ.
أنا المتعدّدُ... في
داخلي خارجي المتجدّدُ. لكنني
أنتمي لسؤال الضحية. لو لم أكن
من هناك لدرّبْتُ قلبي على أن
يُرَبي هناك غزال الكنَاية...
فاحمل بلادك أنّى ذهبتَ وكُنْ
نرجسيًا إذا لزم الأمرُ... خارج المكان

وعن كتاب خارج المكان كتبت وكالة وفا:

منذ عدة سنوات، تلقيت تشخيصاً طبياً بدا مبرماً، فشعرت بأهمية أن أخلف سيرة ذاتية عن حياتي في العالم العربي، حيث ولدت وأمضيت سنواتي التكوينية، كما في الولايات المتحدة، حيث ارتدت المدرسة والكلية والجامعة. العديد من الأمكنة والأشخاص التي استذكرها هنا لم تعد موجودة، على الرغم من أني أندهش باستمرار لاكتشافي إلى أي مدى أستنبطها، وغالباً بأدق تفاصيلها بل بتشخيصاتها المروعة.

كانت حياة غير مستقرة، تلك التي عاشها إدوارد سعيد الطفل، واليافع المراهق والشاب.. حياة قلقة في علاقتها بالمكان.. موزعة، تكاد تكون ظل المنفى.. السفر دائماً.. الانتقال من مكان إلى آخر، وذلك الرحيل القسري بعيداً عن مسقط الرأس.. بعيداً عن الجذر.. أصدقاء جدد في كل مرة، وجيران جدد. ومن ثم قيم جديدة، ومناخات اجتماعية وثقافية مغايرة، فألقى كل ذلك في مسارب نفسه دفقات هائلة من ذكريات، أحداث وأشخاص وأماكن وأحلام مجنحة.

«إلى جانب اللغة كانت الجغرافية في مركز ذكرياتي عن تلك السنوات الأولى، خصوصاً جغرافية الارتحال، من مغادرة ووصول ووداع ومنفى وشوق وحنين إلى الوطن وانتماء، ناهيك عن السفر ذاته. فكل واحد من الأمكنة التي عشت فيها . القدس والقاهرة ولبنان والولايات المتحدة . يملك شبكة كثيفة ومركبة من العناصر الجاذبة، شكلت جزءاً عضوياً من عملية نموي واكتسابي هويتي وتكوين وعيي لنفسي وللآخرين

وهو يسمي كتاب مذكراته «خارج المكان» يناور إدوارد سعيد في أفق البلاغة والفلسفة والسياسة والتاريخ في آن معاً، فهو لا يغادر المكان على مستوى الواقعة، جغرافياً، إلا من أجل أن يعود إليه رمزياً ليحتويه ويعلن انتماءه إليه، وعدم تخليه عنه، والإمساك به حتى الرمق الأخير.

ها هنا يمتزج الوعي بجدل التاريخ وأحابيله بالحنين الإنساني إلى الغرف والطرقات القديمة والأصدقاء الذين تبعثروا في الجهاد، بحلم العودة أبداً إلى الينابيع، وبالمسألة الوجودية الكبرى.. مسألة الموت. فيكون الحديث، في هذا المقام، عن مدارات تتداخل وتنفصم لتتداخل بكيفية جديدة هذه المرة. ومعها تتبلور الرؤية وتنضج فتستنجد باللغة. بأناقتها وهيبتها ومكرها وألاعيبها . من أجل أن تخرج نصاً إلى النور.. نص المذكرات وقد تسلل عبر كثافة الذاكرة، والتجارب، والخطوط الدفاعية المستميتة للاوعي، ومقاومة النسيان. ومن ثم خلال الحضور المتطلب، الفريد للشخصية.

يعي إدوارد سعيد وضعية المنفي، خارج مكانه الاعتيادي، معالجاً إياها في فصل مثير من كتابه «صور المثقف»، وهو بعنوان «المنفى الفكري: مغتربون وهامشيون» عندما يتحدد المنفى مفهوماً بالإبعاد، وليس بالابتعاد بمحض الاختيار.. بالاقتلاع من الجذور والخروج إلى المتاه. فالمنفى وضع نفسي واجتماعي وفكري خاص.. حساسية وموقع وموقف. وكلمات من قبيل (الكآبة والقلق والخوف والغربة وانعدام الأمان، والسخرية) تكون مألوفة في الحديث عن المنفي. ويكون الأمر أشد توتراً وإشكالية حين نتناول موضوع المثقف منفياً. وقد سكن إدوارد سعيد هاجس دائم، أنه في غير مكانه.. ذلك الشعور العميق والباهظ للمنفي/ المثقف بخاصة. والذي سيبحث عن تعويض فذ وفعال من خلال الإبداع.

«تصبح الكتابة لمن لم يعد له وطن مكاناً للعيش».. هذا ما كان يقوله ثيودور ادورنو الذي يعده سعيد الضمير الفكري المهيمن لمنتصف القرن العشرين، وقد أمضى سنوات في أميركا وسمته بعلامات المنفى إلى الأبد.

«إن لب تمثيل ادورنو للمثقف كمنفي دائم، يتفادى مجابهة القديم والجديد كليهما ببراعة متكافئة، هو أسلوب في الكتابة متكلف وممحص إلى درجة الإفراط. إنه في المقام الأول مجزأ، متقلب، متقطع، لا حبكة فيه ولا ينتهج تسلسلاً محدداً سلفاً. وهو يمثل وعي المثقف وكأنه غير قادر على التحرر من القلق أينما كان، متيقظاً باستمرار احتراساً من مغريات النجاح، مما يعني، بالنسبة إلى ادورنو، المشاكس في نزعته، القيام بمحاولة عن وعي وإدراك بهدف ألا يفهم بسهولة وعلى الفور.

وفي حالة إدوارد سعيد، نجده منذ الفصل الأول لكتابه يلخص لنا ملابسات ذلك الوضع الوجودي المقلق لحياته: «وقع خطأ في الطريقة التي تم بها اختراعي وتركيبي في عالم والدي وشقيقاتي الأربع. فخلال القسط الأوفر من حياتي المبكرة، لم أستطع أن أتبين ما إذا كان ذلك ناجماً عن خطأي المستمر في تمثيل دوري أو عن عطب كبير في كياني ذاته. وقد تصرفت أحياناً تجاه الأمر بمعاندة وفخر. وأحياناً أخرى وجدت نفسي كائناً يكاد أن يكون عديم الشخصية وخجولاً ومتردداً وفاقداً للإرادة غير أن الغالب كان شعوري الدائم أني في غير مكاني».٥)

الوعي ومن ثم تحول في الرؤية إلى الذات والعالم؟

«أرجوك لا تتخذ هذا القرار!».

هكذا خاطب باسترناك، الرئيس السوفيتي «خوروشوف» عندما راحت الصحافة الشيوعية تطالب بنفيه بعده عدواً للدولة السوفيتية «السابقة» بعد حصوله على جائزة نوبل للآداب. وتم إجباره على مغادرة روسيا فلم يطق الابتعاد فانتحر في البرازيل، وخرج ريمارك خفية من ألمانيا النازية لينجو بجلده. وغادر إدوارد سعيد القدس في ظروف أشد تعقيداً ليجد نفسه أخيراً في أميركا، وهناك فرض نفسه مثقفاً ومفكراً من طراز ممتاز. حورب من قبل اللوبي الصهيوني، وجرى الاحتفاظ به، أيضاً، جزءاً من الديكور الديمقراطي الأميركي.. تكيف، واستغل وضعه بحنكة وذكاء فصار هاجساً يقض مضاجع الطارحين لوجهة النظر الصهيونية هناك.

في كتابه «الاستشراف: المعرفة.. السلطة.. الإنشاء» قام بتفكيك وتقويض طروحات المستشرقين فأثار لغطاً وردود فعل من قبل أولئك الذين يتحصنون في مواقعهم الأكاديمية الراسخة، وهم يظنون أنهم بمنجى عن أي نقد جاد وفاعل يمكن أن يزعزع مواقعهم تلك. وفي كتابه «تغطية الإسلام» فضح الآليات التي تتحكم بصناعة صورة الإسلام في وسائل الإعلام الأميركية، ونجح كذلك في تقديم وجهة نظر فلسطينية، موضوعية، مقنعة في الراديو والتلفاز والصحافة.

يظهر إشكالية حضور إدوارد سعيد في الوسط الأكاديمي الثقافي الأميركي في كونه عربياً. فلسطينياً. مسيحياً، حاصلاً على الجنسية الأمريكية، ومثقفاً ثقافة عصرية عميقة، متمثلاً أفكار ومناهج عتاة رجال الفكر والفلسفة الغربيين، ومن ثم عارضاً لوجهة نظر في قضايا العالم . وبخاصة القضية الفلسطينية . لابد أن تكون مسموعة، وتؤخذ بنظر الاعتبار والجدية.

قراءة في كتاب الاستشراق

هل الشرق بمرتبة أدنى..؟

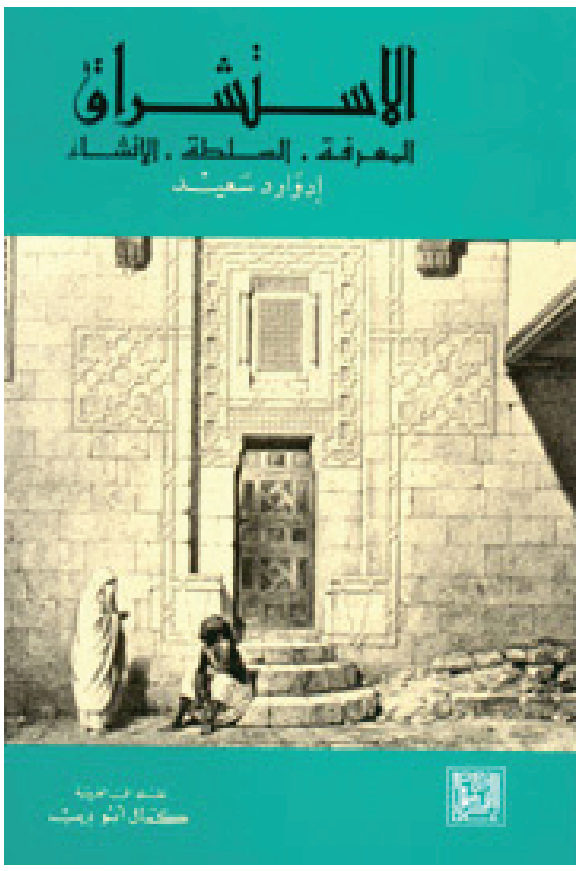

لم ينل كتاب عربي شهرة كتاب الاستشراق لادوارد سعيد لانه ببساطة عرى وفكك نظرة الغرب المتعالية نحو الشرق وهشم غرورهم علمياً.. لذا كان محط نقاش ومازال وتعرض للكثير من المضايقات بسببه .

في ذكرى رحيله نقتطف من منتدى الجامعة العربية هذا الإيجاز المهم للكتاب ..

وهو يأتي بالوقت المناسب ولا سيما عودة الحديث عن الصراع بين الشرق والغرب فكرياً وثقافياً.

الكتاب يضم رأي إدوارد سعيد في الاستشراق وهو يحتوي على ثلاثة فصول ،مقسمة كآلاتي :الفصل الأول :(مجال الاستشراق) ،الفصل الثاني:(البني الاستشراقية واعادة خلق البني) ،الفصل الثالث:(الاستشراق الآن).والكتاب به رأي إدوارد سعيد في الاستشراق الإمبريالي.

مقدّمة المؤلف:

يتحدث فيها عن الصورة الذهنية في عقل الشرق عن الغرب وللتأكيد على ذلك عرض المؤلف ما قاله كاتب فرنسي كتب عن بيروت بعد زيارة له أثناء الحرب الأهلية عام ١٩٧٥م ،حيث رأي هذا الكاتب أنها ذات يوم كانت كأنها تنتمي إلى شرق بريا فالشرق في نظر أوروبا مرتبط دائماً بالكائنات الغريبة والتجارب الاستثنائية وهو مكان للرمسنة ،أما في نظر الأميركيين فالصورة مرتبطة اكثر بالصين واليابان فالشرق بالنسبة للأوروبيين كان أعظم مستعمراتهم ،ولكنه في أوروبا أيضاً هو شرق تخيلياً إلى حد كبير وهو يعبّر عن جزء من حضارة أوروبا وتاريخها الماديين.

ويتحدث إدوارد سعيد عن معنى الاستشراق ويري أن هناك معنى مصطلحياً فالمستشرق هو كلّ من درس الشرق وهذا المصطلح شائع لأنه مرتبط بالموقف الاستعماري وهناك معنى آخر للاستشراق وهو أسلوب من الفكر قائم علي التمييز الوجودي والمعرفي بين الشرق والغرب.فهو اذاً أسلوب غربي للسيطرة على الشرق ،وهو مشتق إلي حد ما من علاقة تقارب بين فرنسا وبريطانيا من جهة ومن جهة أخرى الشرق هذا الاستشراق تم تكريس المعرفة فيه والثقافة والمؤسسات لخدمة الهيمنة والسيطرة الغربية على الشرق .

مجال الاستشراق

.التعرف على الشرق:

كيف تعرف الشرق على الغرب وبالتالي كيف كانت نظرتهم إليه؟

تناول إدوارد سعيد في هذا الجزء آراء أربع شخصيات من كبار المسؤولين في بريطانيا إبان الاحتلال البريطاني للشرق وأخرى أميركية إبان الحرب الباردة ،وكانت آرائهم كالآتي:

١. ارثر بلفور :- قدم بلفور إلى مجلس العموم البريطاني تقريراً حول المشكلات التي يجب معالجاتها في مصر وهو يري أن حكم الإنجليز لمصر واجب الانجليز تجاه مصر الانجليزانفسهم فيه خير لكلتا الأمتين ،فالمصريون لا يمكنهم حكم أنفسهم .وهذه النظرة تمثل ذلك الاحتمال والسيطرة فالحكم الإنجليزي لمصر واجب الإنجليز وهم لا يريدون هذا الواجب ولكنهم يؤدونه لأنه في مصلحة للجميع .

٢. اللورد كرومر:-الشرقيون عنده هم الذين عند بلفور تماما فقد كتب مقالة في عام (١٩٠٨)قال فيها :إن معرفتهم بالشرقيين تجعل حكمهم سهلاً ،فالعقل الشرقي يفتقد الدقة وفهم الكليات على عكس العقل الغربي تماماً كما أن الشرقيين سذج وكسالى.فهذا التعميم لا يمكن أن يقبله عقل فكيف نظر كرومو إلى هذا الكم الهائل من العلوم الموروثة منذ العصر الفرعوني .

٣. كسنجر: - أما كسنجر فقد بنى رأيه على فكرة بسيطة ألا وهي أن الشرقيين لم يتعرضوا للصدمة المبكرة للتفكير النيوتوني ،ولذلك فهم ليسوا كالغر ب أبداً فهم بدائيون إلي حد كبير .

٤. هارولد جولدن:-ففي عام ١٩٧٢ نشرت مجلة أميركية للتحليل النفسي مقالاً كتبه غولد حيث خلص إلى النتائج الآتية :أن الشرقيين لا يستطيعون الأداء إلا في مواقف الأزمات كما انهم يميلون إلى ثقافة العنف والانتقام لديهم فضيلة .إذا فهم بدائيون على عكس الشعوب ألا نجلو ساكسونية.

٥.الجغرافيا التخيلية وتمثيلاتها(شرقنة الشرق):

بدأ الاستشراق عام ١٣١٢ بصدور قرار مجمع أثينا الكنسي بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في بعض الجامعات الأوروبية بعد ذلك قدم ريمون شواف وصف موسوعي وكذلك فيكتور هوجو عاو ١٨٥٩ فقد تحول الاستشراق في هذه الأثناء إلى دراسة الشرق فقد رسم الاستشراق صورة للشرق هذه الصورة هي كما يرتضيها ذوق المستشرقين أنفسهم ويتناول إدوارد سعيد الصورة التي ظهر عليها الشرق منذ ذلك العصر حتى الآن فيخلص إلى نتيجة واحد انه مهما تقدم الزمن فان هناك صورة واحدة متخيلة في ذهن الغرب عن الشرق فمسرحية الفرس لاسخيلوس وكذلك مسرحية الباكتيون لديونيسس وكذلك نورمن دانيل إلي رولان إلي مكتبة دير بليون كلها تؤكد هذه الصورة المتخيلة ،وهذه الصورة لم تأت من فراغ بل جاءت حتى يتم إيهام العقل الغربي بسهولة السيطرة على الشرق.

مشاريع:

يري إدوارد سعيد أن هناك علاقة إشكالية بين الإسلام و الغرب وذلك لتحدي أتباعه الغرب فأحس الغرب بالتهديد بالخطر جراء ذلك التحدي ،وقد قسم إدوارد سعيد تلك المشاريع إلى ثلاثة أقسام:

١. ما قبل الحملة الفرنسية :وكانت تتسم هذه الفترة بان المستشرقين فيها كانوا أما قضاة أو محامين تم جلبهم للشرق للعمل فيه ولم يكونوا يعرفون أي شيء عن الشرق .

٢. حملة نابليون :فقد تمّ جمع بعض الكتب عن الشرق قبل الحملة ولذلك فان القادمين في الحملة كانوا يعرفون بعض الأشياء عن الشرق ولهذا حاولوا السيطرة عليه من خلال تلك المعرفة.

٣. ما بعد الحملة الفرنسية :فمشروع قناة السويس يعتبره إدوارد سعيد ليس مشروعاً لربط البحرين وحسب وإنما مشروع لربط الشرق والغرب.وتتميز هذه الفترة بوجود ك هائل من المعلومات عن الشرق التي قد تمّ جمعها من قبل.

٤.أزمات:

وفي هذا الجزء من الكتاب يعرض إدوارد سعيد آراء بعض الكتاب الغربيين في الشرق ،فانه إذا تمّ تصديق كاتب ما كتب عن أي موضوع فانه سوف يتم تصديقه على المدى البعيد مهما كتب أو قال.

ومن هؤلاء الكتاب (شليغل) ويرى أن الشرقيين من مرتبة أدني كما أنهم كسالي ومتخلفون.

(لا بدّ من الجمال)

د. ساندرا عفش

كما قال مُعلِّم الجمال الأول الدكتور فؤاد المرعي: (لا بدّ من الجمال حيًا كان أم حلمًا).

إن الفنّ بطبيعته قائم على تجسيد الجمال بالضرورة، أو على أقلّ تقدير، تجسيد الجمال في شكله، وإلا لما كان فنًا، وإنّ معايشة الجمال بمختلف تجلياته الفنية والطبيعية ضرورة قصوى، ضرورة تضمن السويّة النفسية والذوقية والثقافية، وفي ذلك قال الإمام الغزالي: (من لم يعجبه العود وأوتاره، والربيع وأزهاره، فهو معتلّ المزاج يحتاج إلى علاج) فلا نرى إنسانًا شريرًا إلا كان عاجزًا عن تذوّق الفنّ، كما أنّ العاجز عن تذوّق الجمال عاجز حتمًا عن معايشة الكماليات العقلية المعرفية، وهذا يؤكد أنّ الفنّ ليس محض فسحة نفسية يلجأ إليها الفارغ من أعماله، إنما هو جزء يومي ينتظم الإنسان من خلاله نفسًا وسلوكًا وجسدًا أيضًا، ففي حين تُعلِّمنا العلوم الطبيعية كيف نتعامل مع المرض والموت، فعلى الضفة الأخرى، يقف الفنُّ معلمًا جليلاً يعلّمنا كيف نتعامل مع الحياة، وفضلاً عن الأهمية النفسية الذوقيّة لمعايشة الفنّ بات الطب الحديث يتوسل بالفنّ للعلاج، وهذا ما فعله أجدادنا العرب سابقًا في البيمارستانات إذ: (لا بدّ من الفنّ بأيّ شكل كان) كما يقول الدكتور سعد الدين كليب، وليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، لكنه يدأب في أصغر يومياته على تذويق محيطه بالفنّ، أو بما يشبه الفنّ؛ من ارتدائه للثياب الأجمل إلى اختيار سجادة الصلاة الأقرب إلى الذوق، وفي هذا كله سلوك ذوقيّ يجعل الفنون - بشقيها الجميلة والتطبيقية - تدخل في تفاصيل حياتنا، وفعليًا هذا ما فعلته جلّ الأديان، فقد توسلت بالفنّ لتوصل للمتلقي رسالتها المجردة على أجمل شكل ممكن، فصارت أعظم قدرة على الإقناع، فمن القرآن الكريم - أعلى نصّ أدبيّ جماليًا- إلى الأيقونات والمعابد والأوثان والأصنام والتراتيل وتجويد الأصوات.

إنّ المجتمعات تعبّر بفنونها عن موقفها من العالم، من حيث اختيار الفن الذي يطبع شخصية المجتمع (العرب مثلاً قوم كلمة وشعر، قوم وجدان وعاطفة حتى في يومياتهم)، كما أن فنّ مجتمع من المجتمعات يكشف لنا مرحلة تطور هذا المجتمع من المنحى الإنساني الذوقي أولاً، وخير دليل على هبوط مجتمع ما، هو رواج الفنّ الهابط فيه، فالعمل الفني لا يوصل رسالة فردية فحسب، إنما يعكس صورة ثقافية، وعى الفنان ذلك أم لم يعِ، ومن هنا حرصتْ المجتمعات المتقدمة -الغرب الآن والعرب سابقًا- على تنمية الذوق الفني للفرد منذ نعومة أظفاره، حتى ينمو فردًا سويًا قادرًا على التذوّق والتعبير من جهة، وقادرًا على فهم الآخر باختلافاته وخلافاته بشكل إنساني من جهة ثانية، فأوّل ما يدربنا عليه الفنّ - بوصفه أوسع ميدان للديموقراطية والحرية - هو تقبّل الآخر، فلا نقع بخندق إلغائه والصراع معه.

أما من يتجاهل دور الفنّ في حياة كل فرد أو ينكره، فنتفهم موقفه بالنظر إلى بيئته التي حجبته عن الإنسانية فيه أولاً، وحبسته في قفص تقديس الذات، فندعوه لينمو إنسانيًا بمعايشة الفنّ.

وتر الكلام

بلا عودة..!

سعاد زاهر

بضعة كلمات ساحرة..
وها هي في طريقها إليه
بدت حقيبتها الصغيرة كدوائر
تتسع وتلتهم كلّ أغراضها
تأكدت أنها حملت كلّ شيء
ترتجف يداها وهي تغلقها
اقترب اللقاء
الحلم جعلها مخدرة تماماً
كمراهقة تختط أولى لحظاتها العاطفية
ساعات قليلة وهاهي في مواجهة
شقته الصغيرة
بدت فارغة إلا من ظله..!
ترى كم من الظلال مرّ عليها؟
بدأت تتجمد..
لا شيء إطلاقاً
مجرد هدوء مريب
كيف رتب لها عقلها
أنها سوف تنام مستعذبة
همساته المتقنة
ورتابته الهانئة
كيف استقرأت نكهة المفاجآت؟
ها هي تشعر أنها وحدها خائفة منفية
بينما أتاها صوته وازدحام الشارع
يطغى على كل شيء
لقد غادر إلى بلده.. بلا عودة
فقدته إلى الأبد.. هالها سرّ اللوعة
وانشطار الأفق
كأنها تصدعت وتكسرت تماماً
جلست ذاهلة
خائفة مثل المرة الأولى دخلت وخرجت
محملة بمتاهات جميعها تفضي إليه
صارعتها زمناً
وحين استسلمت
ها هي هاربة، نادمة
ولكنها متيقنة
أنها قوية كشبكة عنكبوت
كاهتزاز شمعة
بدأت تكتب وتحذف
سكت في ذهنها كل رنين
وباتت عاجزة
عن الاتصال بأي لغة
يالضحالة المكان
بدا لها مطلياً بالغبار
حين تسلل نور الصباح
امتدت كقامة واجفة
تسمع آخر رسائله
الصوتية قائلاً «تعالي»
هالها أنها بلا ركن تستند عليه
وهي تجر حقيبتها الصغيرة
زجاجة العطر الحمراء تركتها كذكرى
في الركن الصغير
حيث اختفى قلبها إلى الأبد
انطفأ في ذهنها كل شيء
داهمها الفراغ
واحتفظت بألبوم عجزها
ومزقت أشرعة العودة
ومضت تغالب أي وعد
وتمحي أي ذكرى
هربت وتوارت..
وانسحبت لعلها تحتفظ بحروفها
قبل أن تتطفئ إلى الأبد...!

رئيس اتحاد الكتاب العرب: الأمة القوية تحسن بناء ثقافتها

فاتن أحمد دعبول

يكثر الحديث في الآونة الأخير وفي الأروقة الثقافية والفكرية عن مدى انحسار أو تراجع دور الثقافة والمثقف في المجتمعات، ولكن لو تعمقنا في جذور المشكلة لابد سنكتشف عدداً من التحديات التي تواجه الثقافة والمثقفين، وخصوصاً بعد تلك الحرب الآثمة التي كان استهدافها بالدرجة الأولى لثقافتنا وهويتنا.

وللوقوف عند أهم هذه التحديات والاستراتيجية المقترحة للخروج من عنق الزجاجة الثقافية، كان اللقاء مع الدكتور محمد الحوراني رئيس اتحاد الكتاب العرب، فقال:

خلق استراتيجية مشتركة

مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها المنطقة العربية حديثاً، غدت الثقافة العربية أمام مفترقات طرق صعبة ومفصلية وشديدة الوعورة، ذلك أن الشعب العربي أصبح أمام تداعيات سلبية من شأنها أن تؤثر في الهوية الثقافية العربية الوطنية، وربما تؤدي إلى انسلاخ تدريجي عنها، ولاسيما مع حالة التشبه، بل التماهي والتباهي بالثقافات الوافدة التي من شأنها أن تؤدي إلى خلق وضع غير متوازن في الانتماء.. ومعرفة الذات.

وقد بدأ هذا جلياً في ارتماء فئة غير قليلة من أبناء الأمة ومثقفيها في أحضان الثقافات الأجنبية«الاستعمارية» مع الإساءة المنهجية الكبيرة إليها وإلى أهلها، والاستخفاف بثقافة أمتها القومية وتراثها الحضاري، وهذا لا يعني انعدام وجود مثقفين وطنيين حاولوا، ولا يزالون إعادة الاعتبار إلى الموضوعات الثقافية الوطنية الأصلية، ووقفوا في وجه المخططات التي تستهدف أمتهم، وتعمل على تزييف وعي شعوبهم وتشويه تراث أمتهم وثقافتها.

إلا أن ما ينبغي العمل عليه هو خلق استراتيجية منهجية مشتركة بين المعنيين جميعاً، استراتيجية يكون أساسها العمل على تقدم الوعي القومي لدى المثقف العربي، بحيث يستطيع أن يتجاوز مرحلة الصراخ، وأن يحيل الشكوى إلى نداء وعمل حقيقي، وأن يصبح النداء في مرحلة ثانية شعاراً، وهذا يعني أن المثقف بدأ بتوضيح المعلومات وتبصير الناشئة بحقيقة ما تتعرض له من تهديدات تحاول اقتلاعها من جذورها، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا عبر تعميق الأدب والثقافة الوطنية وتجذير حضورهما ثقافياً وتربوياً وإعلامياً.

وهذا يحتاج إلى وعي كبير من المثقف وبذل الجهود كلها لأجل التخلص من التوتر الذي طالما قاد بعضهم إلى التفريغ الانفعالي، ولاسيما أن التوتر يقودنا إلى مواقع حماسية آنية تنمي في أنفسنا حساسية مفرطة شديدة التأذي، سريعة الانجراح منطوية على نفسها، وهو انطواء يذهب بصاحبه إلى الانكفاء، ويجعل مرحلة القلق مسيطرة على هذا المثقف.

نملك مقومات حضارية راسخة

إن الثقافة العربية تمتلك من الأسس والمقومات الحضارية ما يجعلها أعمق أثراً من أن تجنب أو تزاح إلى الحد الذي تفقد فيه طاقتها وفاعليتها كلها، لأنها راسخة البنيان ومستمرة ومتمددة في الزمان والمكان.

وأول هذه العناصر أن المنطقة العربية هي مهد الحضارات الإنسانية، إذ إن الفرعونية والبابلية والآشورية تعد من أقدم الحضارات، كما أن هذه المنطقة مهبط الأديان السماوية «اليهودية، والمسيحية والإسلام» وهذان العنصران انصهرا مع عناصر أخرى في عملية إنتاج التاريخ الاجتماعي للعالم العربي، ولا يمكن فهمه إلا في حضورهما، وجاءت اللغة العربية من خلال قوتها الذاتية لتعزز عناصر التوحد الثقافي العربي، وتجعله أكثر تماسكا وقوة.

صحيح أن بعضهم يرى أن الثقافة العربية عنصر كثير التعدد،

شديد الاختلاف، إلا أنها في الوقت نفسه غزيرة التنوع، راسخة الحضور، قوية البنيان، وعلى أساسها تتمايز المجتمعات وتختلف الجماعات تمايزاً واختلافاً مكّنا علماء الإناسة من استنباط الوسائل النظرية التي أتاحت لهم دراسة الخصائص الإثنية التي تميز البشر في صنوف اجتماعهم وطرائق معاشهم، إذ يتسع لنا أن نتبين إلى أي حد يمكن للثقافي أن يكون ثريا في تعدده، وعبقرياً في تنوعه، كما أن الثقافة انعكاس للمستوى الحضاري لأي أمة أو بلد أو جماعة، وهي حصيلة فهم الإنسان لتراثه ودينه أياً كان.

وهذا لا يتحقق إلا عبر تواصل الجيل القديم مع الجيل الجديد، وحرصه على تنمية مواهبه وتطوير ثقافته والارتقاء بها، ولاسيما في مرحلة الحداثة وما بعد الحداثة، وفي ظل عزوف المجتمع عن الألوان الثقافية، وهو ما يجب أن يحظى برعاية المؤسسات الثقافية الرسمية في الدول العربية كلها، لتحقيق دعم الأنشطة والفعاليات الثقافية، والعمل على تنشيط الوزارات المعنية» إعلام، ثقافة، تربية، تعليم، أوقاف وغيرها» وهذا لا يمكن أن يحدث إلا بعد إدراك عميق لأهمية هذا العنصر الناعم الذي يضاهي في قوته وجماله كل شيء.

لقد آن الأوان لتغيير واقع التعاطي مع الثقافة على أنها عنصر هامشي، دون إدراك أبعاد العامل الثقافي ودوره في صناعة التحولات ورسم الحدود الجيوسياسية، ذلك أن رسم المسار الثقافية الحضاري القائم على الوعي والأصالة، من شأنه أن يسهم في إعلاء قيم الخير والفن والجمال، وأن يضع حدا لتغول الصراعات السياسية والعسكرية وما تجره من كوارث وسلبيات على المشهد الثقافي.

إن مد جسور التبادل الثقافي وتدعيمها بين الدول العربية، هو وحده الكفيل بإزالة الحواجز النفسية التي خلفتها السياسة والحروب، كما أنه وحده القادر على تبديد وحشة المعارك الإعلامية التي أريد لها أن تشتت الأمة، وتدمر بنيانها الحضاري والمعرفي.

تكثيف الجهود لدعم الثقافة العربية

من جهة أخرى، فإن حالة الضعف التي تعيشها الثقافة العربية، تعود في أسبابها إلى نرجسية المثقف وجموده، كما أن حالة التبعية للسياسي وقبول بعض المثقفين بانتعال بعض الساسة لهم، يشكل أحد أهم أسباب ضعف الثقافة وقصورها، فضلاً عن مجاراة بعض المثقفين لبعض رجال الدين على الخطأ والصواب.

وانطلاقاً منه، لابد من تكثيف الجهود مستقبلاً لتقوية الجانب الدنيوي للثقافة العربية ومعالجة القضايا الاجتماعية والعلمية والتكنولوجية التي يتخبط فيها الوطن العربي، حسب رؤية المفكر والاقتصادي اللبناني جورج قرم، من دون أن يتمكن من الخروج من التخلف الاقتصادي والمعرفي، مع إشارة خاصة إلى هجرة الأدمغة العربية إلى أوروبا والولايات المتحدة وكندا، وهو ما من شأنه أن يعمق من مستوى التخلف العربي مقارنة بما تنجزه من إنجازات علمية وتكنولوجية حضارات أخرى مثل الحضارة الصينية وحضارة دول شرق أسيوية أخرى.

والجدير بالذكر هنا أن المجتمعات العربية كانت أكثر تقدماً من الناحية الاقتصادية من اقتصادات شرق آسيا في بداية الخمسينات، وهذه ظاهرة يجب أن تثير الاهتمام لفهم الأخطاء التي حدثت في بلداننا العربية، وتوطيد اتجاهات اقتصادية واجتماعية جديدة تخرجنا من التخبط في التخلف عن ركب الحداثة بأوجهها كلها، وهي رؤية تتقاطع إلى حد كبير مع ما يراه المفكر والباحث المغربي عبد الله العروي، ولاسيما تأكيده قصور التحليل الاقتصادي في فهم الواقع العربي، متجها بالبحث إلى العوامل الأيديولوجية والثقافية الكامنة وراء إخفاق الحركة التحريرية العربية التي كان في وسعها أن تصمد لو أنها أنجزت الحلقة الغائبة في مشروعها» الثورة الثقافية».

ومن هنا لابد من استيعاب معطيات المرحلة الليبرالية وتوطينها، والإقلاع عن نقد التراث الليبرالي، لأن الليبرالية حاجة طبيعية في الفكر العربي وضرورة تاريخية للمجتمع والسياسة والثقافة، والانصراف بدلا منذلك إلى النقد بوصفه استراتيجية معرفية.

دعم الحكومات للمثقف

بقي أن نقول: إن حالة المراوحة في المكان منذ قرون في عالمنا العربي، وإخفاقه في عمليات التحول الحضاري المطلوبة لإصلاح الحاضر والاستعداد للمستقبل، إن هذا الإخفاق يعود على نحو أساسي إلى أسباب كثيرة، من أهمها حالة» النوستالجيا» الفكرية التي أصيبت بها فئة من مثقفينا ومبدعينا، ويجب علينا جميعاً أن نسهم في التخلص من استبداد هذه الحالة، لأن التخلص منها خطوة لابد منها للوصول إلى التواصل الثقافي بين أبناء الأمة في أمصارها كافة، وهي مرحلة متقدمة عن التعددية كما يقول عالم الاجتماع علي راتانسي، وهو ما أكده اجتماع الأمانة العامة للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب الذي استضافه اتحاد الكتاب العرب في سورية تحت عنوان»أدباء من أجل العروبة».

فقد أكدت اللقاءات والندوات والفعاليات الشعرية التي أقيمت في أثناء الاجتماع، أن ما يربط بين أبناء الأمة ومثقفيها أكبر بكثير مما يفرقهم، كما أن الانتماء والأصالة والوطنية هي السمة الغالبة على كتاباتهم ومنجزهم الإبداعي في الأجناس الأدبية المختلفة.

لكن المشكلة تكمن في التواصل بين أبناء الأمة في مختلف الأمصار العربية، وكذلك في سوء تخصيص الحكومات العربية شيئاً من الدعم للقاءات وفعاليات كهذه، فمن غير المنطقي أن يتسابق بعض المسؤولين في هذه الدولة أو تلك إلى دفع ثمن بطاقة طائرة وإلى التكفل بنفقات إقامة هذا الفنان أو تلك المغنية، فضلاً عن المبالغ المالية الطائلة التي تغدق عليه في هذه الدولة أو تلك، في الوقت الذي لا يجد فيه المثقف أو المفكر من يدفع له ثمن بطاقة الطائرة لحضور هذا المؤتمر أو تلك الندوة.

لقد آن الأوان لإعادة الاعتبار إلى الثقافة والفكر، لأن الأمة القوية هي الأمة التي تحسن بناء ثقافتها وتربيتها، وتحترم قادة الفكر والرأي والتربية فيها.

الشّعر ...رسالةٌ إنسانيّة؟

حبيب الإبراهيم

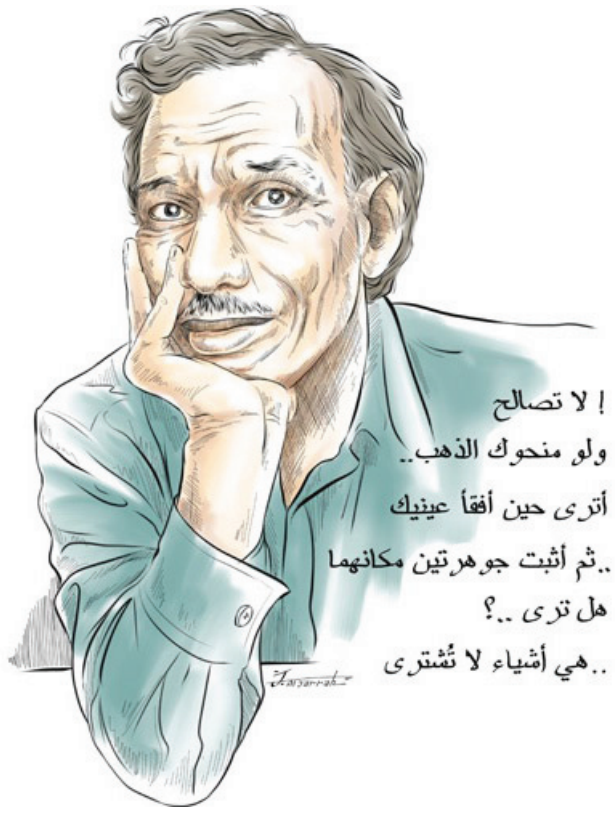

لم يكن الشعر وعلى مرّ العصور ترفاً او لهواً أو تسليةً ...بل كان لدى كل الأمم والشعوب حالة وجدانية، ورسالة إنسانية حضارية لذلك شغل الشعراء في مجتمعاتهم مكانة مهمة تليق بهم وبإبداعاتهم، والذي شكّل رافعة مهمة للثقافة والفكر،فكان الشاعر لسان حال الناس،ينقل معاناتهم..همومهم،رؤاهم،أحلامهم،ينثرها كحبات المطر في الأرض اليباب،لتعطي ثمراً بهياً...

والشعر في المجتمع هو ضرورة،بل أكثر من ضرورة،فهو -أي الشعر - الوعاء الشامل لما يدور في المجتمع من كافة النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية والفنية،لذلك قالت عنه العرب قديماً (الشعر ديوان العرب) والديوان يعني السجل الذي يجمع كل النواحي الإبداعية التي يقدمها هذا المبدع أو ذاك،ولعلّ معظم أخبار ووقائع السلف انتقلت إلى الأجيال اللاحقة من خلال الشعر.فكانت الملاحم والبطولات حاضرة بقوة في قصائد الشعراء بطبقاتهم ومستوياتهم كافة..

والشعر ليس كلاماً عادياً،بل هو كلام يعتمد على الصورة الشعرية إلى جانب المفردة الجميلة البهيّة، وتأثير الشعر متعدد الاتجاهات سواء على الفرد أم المجتمع والذي لا يمكن أن يتطور إلا من خلال البنى الفكرية والثقافية والفنية،ويأتي الشعر في المقدمة،كونه يعدّ من أرقى الفنون الأدبية وأكثرها قدرة على التعبير والغوص في النواحي الوجدانية والجمالية للمجتمع،فالشاعر هو الأكثر قدرة على التعبير ونقل ما يهم المجتمع مستخدماً ما يجول في ذهنه من أفكار وإيحاءات ومعانٍ ضمن رؤيته وثقافته ومنظوره للحياة،حتى قيل إنه يحق للشعراء ما لا يحق لغيرهم..

لم يقف الشعر عند شكل معين،بل تطور مع تطور المجتمع والحياة،وراح ينهل من ينابيع شتى فالقصيدة المقفاة الموزونة،لم تعد وحدها من يعطي للشعر هويته؛ بل دخلت في مجال الإبداع مسمّيات جديدة مثل: شعر التفعيلة وقصيدة النثر والومضة وغيرها من مسميات قد لا تروق للبعض ويعتبرها خاطرة أو نثراً شعرياً أو ...؟!

اياً تكن التسميات فالشعر شعرٌ له موسيقاه وصوره الشعرية إلى جانب الإيحاء والإدهاش والتكثيف وهي سمات تتوافق مع التطور الهائل الذي شهده القرن الحادي والعشرين في مضامير الفنون والثقافة والمعرفة.

إنّ تطور المجتمع من كافة النواحي واكبه تطور ثقافي وأدبي تجلى بتطور اللغة الشعرية، حيث عمد شعراء الحداثة إلى الابتعاد عن الألفاظ الغامضة وتوظيف كل جديد في قصائدهم وإلباسها ثوباً فنيّاً جميلاً يتماشى مع روح العصر ...

وعندما نقول :الشعر اكثر من ضرورة لقناعتنا ان ما يحدثه الشعر في نفس وفكر المتلقي لا يستطيع اي فن آخر فعله ؟!

كم من قصيدة الهبت مشاعر الجماهير ؟ وكم من شاعركان له الدور المهم في الدعوة للحرية والمساواة والعدالة الإجتماعيةً ؟!

وإن كنت لستُ مع مقولة ((الشعراء يتبعهم الغاوون ..يقولون مالا يفعلون ...)) لأن الشاعر ابن بيئته وعليه تبني قضايا وطنه ومجتمعه وطرح ما يجول بخاطره ووجدانه بكل صدق وشفافية بعيداً عن النرجسيّة و(الأنا)المتورمة ،هذا الحال تجلى في مناسبات عدة ،عندما تعرض الوطن لحملات العدوان والتضليل والتزييف قال الشعراء كلمتهم وعبّروا عن مواقفهم الوطنية بالدفاع عن الوطن بالكلمة الحق والموقف المبدئي الشريف .فحمل الشعراء هموم الناس والمجتمع وخاصة في القضايا المصيرية التي تهدد الحرية والكرامة والوجود ،وكانوا إلى جانب فنون التعبير الأخرى من إعلام ومسرح و...وكل اشكال التعبير والإبداع مغ الناس البسطاء والفقراء واشاروابقوة وفخر إلى عظمة الشهادة والشهداء وبطولات حيشنا الباسل في دحر الإرهاب والفكر الوهابي الظلامي ،والصمود الأسطوري للشعب وتلاحمه مع الجيش والقيادة وتحقيق الإنتصار...

ومع تطور الاتصالات والثورة المعرفية وإنشغالات الناس بقضايا الحياة اليومية تراجع جمهور الشعر واقتصر على المثقفين والمهتمين بالشان الثقافي ،إذ نادراً ما نجد من يحضر امسية أو أصبوحة شعرية ،فيقتصر الحضور على العاملين في المركز وعدد قليل لا يتجاوز عدد أصابع اليد ،وهي ظاهرة تنسحب على معظم الأنشطة والفعاليات الثقافية ؟!

وأياً يكن واقع الشعر اليوم ونظرة الناس إليه ،فما زال يؤدي دوره ويحمل رسالته التثقيفية والتنويرية والإنسانية ،والتصاقه بقضايا الوطن والمجتمع والإنسان رغم كل الظروف والتطور التكنولوجي الهائل ،لانّ للكلمة وقعاً في العقل والوجدان دائمة التأثير ،واسعة المدى ،لا يمكن أن تُمحى أو تزول على مر السنين والعصور .؟

زاوية حادة..

خريف الدفلى..

غسان شمه

من فوق خشبة المسرح «الصغير» إلى مدى «المسرح الكبير- الحياة» يأخذنا الكاتب رشيق عز الدين سليمان في روايته « خريف الدفلى» الفائزة بالمركز الأول لجائزة الروائي السوري الكبير حنا مينة لعام ٢٠٢٠.

يفتتح الكاتب مشهده الروائي مع بطل الرواية «نور» المسرحي الشهير الذي ينهي عرضه الجديد، ليلتقي، في الكواليس، فتاة رقيقة تسلم عليه بمودة كما لو أنه يعرفها منذ زمن بعيد، متخيلاً أنها واحدة من المعجبات، لكن الأحداث تتصاعد ليكتشف، ونكتشف، أنها تعرضت لطعنة سكين، فيتورط البطل بمعالجتها، ومن ثم تتواصل الأحداث لتزيل الستارة عن علاقة حب وزواج بين الفتاة وأخيه «يوسف» الضابط في الجيش الذي اختفى دون معرفة وقائع ذلك الاختفاء، فيما البطل نور يسترسل، عبر صفحات الرواية، في سرد حكايات تشكل في تناغمها نوعاً من السيرة الذاتية لحياته الشخصية وخياراته في الحياة، فهو توءم مع يوسف وقد اختار القدر لكل منهما طريقه ولكن بلعبة فنية من يوسف الذي يعرف ما يريد نور.. ويصل خبر استشهاد يوسف حيث يضطر نور للعودة إلى القرية بعد غياب أكثر من عشرين عاماً، وتبدأ بينه وبين الفتاة حكاية أخرى ما تلبث وقائع الحياة تصدمها بحدث مفاجئ في الختام..

ينهج الكاتب في بنائه الروائي التنقل عبر الزمن في سير الأحداث، فالبداية من الحاضر وتداعياته ما لبثت أن أخذت بنور إلى الماضي حيث يتذكر بعض تفاصيل علاقته بأخيه، ثم يعود للحاضر مع أحداث جديدة، لكنه ما يلبث أن يعود للماضي لتذكر وقائع وفاة أبيه وكيف صنع يوسف تفاصيل الاختيار الذي حقق لنور رغبته المكبوتة، ليعود مجدداً للحاضر، مثيراً في السياق الكثير من الأسئلة الوجودية والإنسانية والمجتمعية، في بناء روائي سلس إلى حد بعيد..

لكن لابد من الإشارة لبعض الأخطاء اللغوية أو الكتابية التي كنت أتمنى تجنبها في عمل كهذا..!

الشباب جذوة إبداع المجتمع

عبد الحميد غانم

الشباب هم القوّة الحيّة التي تملك الطموح الكبير والواسع لآفاق رحبة للمجتمع، والهمّة العالية للبناء والتطوّر، وتبنى عليها كل المشروعات الطموحة في تحولات المجتمع وتقدمه.. هم العامل الأساس في بناء البلد والأُمّة، لأنّ الشباب هم نسغ الحياة الحيّ، والمتحرّك بقوّة.

وقد أكّد العلماء والمختصون، أنّ حيوية الأُمم ترتبط على نحو حاسم، بحيوية ودور هذه الشريحة، ومدى قدرتها، على تحريك المفاصل المتنوّعة، لحياة الأمم، في المجالات العملية والعلمية معاً.

يكفي المجتمع العربي افتخاراً اليوم أنّ أكثر من نصفه من الشباب،التي تقوم عليه عملية تطور مجتمعنا..

تقاس الدول المتحضرة بمدى اهتمامها بالشباب، فهم ثروة الوطن والذراع الثالثة للتنمية في البلد.. فالشباب مساهمتهم كبيرة في رقي مجتمعاتهم وتطوّرها، والشاب المبدع هو الذي لديه القدرة على النظر للأمور بطريقة مختلفة، ورؤية مغايرة، من أجل البحث عن حل للمشكلات بطريقة مبتكرة وجديدة، منطلقاً من مكوّنات الإبداع للتعامل مع الأشياء المعتاد عليها بطريقة غير عادية، والمجتمع هو ما يعزّز هذا الإبداع ويستفيد منه. والشباب المبدع الرائد في أعماله وابتكاراته في مختلف المجالات الإبداعية، سواء أكانت علمية، ثقافية، اقتصادية، اجتماعية، رياضية، يحتاج إلى مَن يحتضن ويهتم بإبداعه أياً كان.

الجميع يتفق على أنّ الشباب يشكّلون الفئة الأهم في المجتمع، وتُعدّ المجتمعات التي تقل فيها نسبة الشباب في تكوين النسيج المجتمعي، آيلة للزوال أو الانقراض، وقد يحدث الزوال أو الانقراض، من خلال إهمال أو تهميش شريحة الشباب، ومن ثمّ انتشار اليأس والخمول وقلة الإنتاج وما إلى ذلك، من عوامل تؤدّي - مع التراكم الزمني - إلى ركل المجتمع الخامل جانباً، ووضعه قرب حافة الانقراض، أو العيش في هامش الحياة، كما هو حال الشعوب المتخلّفة.

حرفةُ المبدعين وفلسفةُ الحالمين

رنا بدري سلوم

الفنّ حاسّة سابعة وعينٌ ثالثة تُنبئ من يتتبع حدّسه بابتكار ما يحيط به من هواجس وتأملات نقديّة يعيد صياغتها، وتشكيلها ومزجُها، الفنّ صوت داخلي لا يصمت ولا يكفّ عن النداء لتتحرر، يتملكك لتصيغ منه روحاً جديدة إما بنغمة موسيقية أو قصيدة، لوحة فسيفسائية أو منحوتة أثرية، الفن هو أن تصوغ حِرفة تشتغل بفوضى حواسك لتثبت فلسفة وجودك .

لطالما كان «الفنّ» في الفكر الفلسفي هو هذه الأنشطة جمعاء، الإنسانية والصناعية والعلوم والفنون الجميلة، تساوى عند محرابه النحت والشعر والغناء والموسيقا في القيمة مع النجارة، والحدادة، والجراحة، وبذلك كان الشعر صنعة كغيرها من الصناعات، إلّا أن ظهر في اليونان بعض الفلاسفة الذين فرّقوا بين الفنون الصناعية والفنون الجميلة مثل «أفلاطون» فقد كان أول فيلسوف يؤسس لموضوعات الفن والجمال بشكل نظريّ، فقد نظر إلى الفن الحقيقي على أنه العمل البعيد عن الحياة اليومية المحسوسة والتي تبتعد بدورها عن تأثير الحواس والإدراك الحسي، ولذلك رأى أن الموسيقا تحقق الخير والجمال، بسبب ابتعادها عن الواقع المحسوس، وتأثيرها على النفس الإنسانية بإكسابها الاتزان.

أما العرب فقد اعتبروا أن الفن صناعة، وتعريف الصناعة في «المعجم الوسيط» هي: «كلّ فن أو حرفة مارسها الإنسان حتى برع فيها». يمكننا القول :إن الفنّ والصناعة وجهان لعملة واحدة أساسها الإتقان ومهارة الصنع. وبالاستناد إلى المراجع التي تحدثت عن نظرة الفلاسفة للفن وتعريفهم له، فكما جاء في الموسيقا أنها نوع من أنواع الصناعة، فقد عرّف « ابن خلدون» الموسيقا أنها صناعة الألحان وتلحين الأشعار الموزونة لتقطيع الأصوات على نسب منتظمة ومعروفة. كما استخدم العرب مصطلح الفنون للإشارة إلى أنواع العلوم المختلفة وفقاً للمصدر.. الكتاب الذي ألفه «ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن» والذي تكوّن من أربعمئة مجلد، وأسماه «الفنون» وذكر به العديد من العلوم المنتشرة في عصره، وهناك العديد من الأمثلة التي تبين مدى ارتباط مصطلح العلوم ومصطلح الفنون بوصفهما شيئاً واحداً عند العرب.

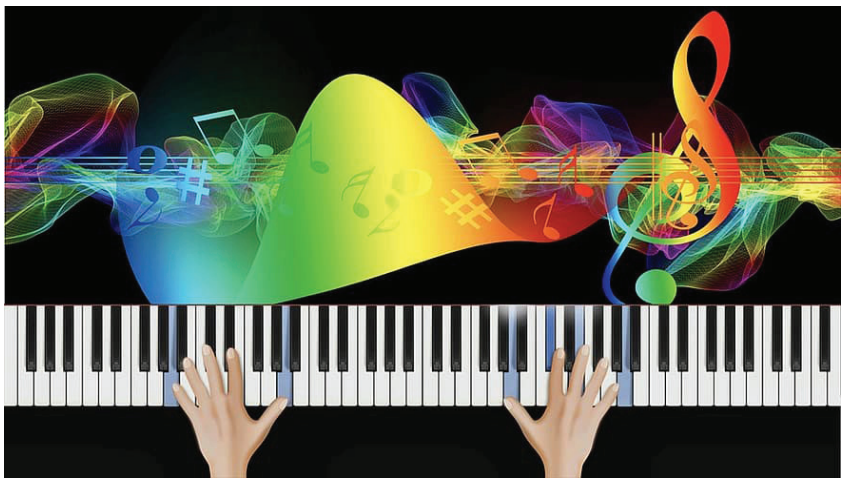

الفنّ وإرادة القوة عند «نيتشه»

الدافع الكبير للحياة هو «الفن»، والجزء الكبير منه «الموسيقا» التي تعبر عن إرادة القوة «أسطورة الإله ديونيزوس» والإحساس الباطن والإبداع الفني الكامل، هكذا يراها الفيلسوف الألماني «فريدريك نيتشه» الذي لابد من الحديث عن رؤيته للفن فقد اعتبرت فلسفته من الفلسفات الفريدة من نوعها، إذ حاول نقد كلّ سائد في عصره وقبله، فمطرقة نيتشه النقدية لم تترك شيء إلا وفككته ودمرته، فهو نقد الدين والأخلاق وإلخ، وفلسفته لا يمكن فصلها عن حياته الشخصية، فهي انعكاساً لها، فقد دعم فكرة العودة الأبدية التي تقتضي الاستقلالية عن الأخلاق بمفهومها السائد في عصره، وكذلك العثور على وسائل جديدة ضد عمل الألم « بوصفه أداة باعثة للفرح» المتعة التي يمنحها اللايقين، والمؤقت، رغم تأثره بمقطوعة فاغنر الموسيقية «ترستان وإزولد»، ظل مغرم بها طيلة حياته، وكان له شغف عميق بالتراث الأدبي الإغريقي، وبالممثل «هوميروس» والتراجيديين العظام من القرن الخامس قبل الميلاد، كما أحبّ الفلاسفة الإغريقية خصوصاً فلسفة السابقين عن سقراط، ويمكن اعتبار ما سبق من الدوافع التي جعلته، يؤلف كتابه الشهير «مولد التراجيديا»، موظفاً تأويل رموز الأساطير اليونانية في محاولته لتقريب مفهوم الفنّ للقراء، أو بتعبير آخر فالرمزية تخترق فلسفته في كلّ تفصيلها، في كلا كتابيه «مولد التراجيديا» أو «إكليل الشوك»، وبالعودة إلى كتابه مولد التراجيديا يعتبر « أن الموسيقا والأسطورة التراجيدية تعبيران متساويا القدر عن الطاقة الديونيسية لأي شعب، وهما لا ينفصلان عن بعضهما»، وإن روح التراجيديا «المأساة» كما يعبر عنها نيتشه في كتابه «ميلاد تراجيديا»، يمثلها الإله ديونيزوس، وهو إله النشوة والإسراف ورمز الغريزة وقوى الطبيعة وانفلاتاتها من إدراكها وهذا ما يغذي ويغني الفن، «فديونيزوس» هو التعبير الحقيقي عن عودة الإنسان إلى أصله الطبيعي- الحيواني الذي يجعل الإنسان يعيش في تناغم كوني ويحرر إرادته، عكس «الإله أبولوني» الذي يعبر عن الحلم والحكمة والنبوءة، يقيد شهوات وغرائز الإنسان ضمن أطر يخلقها السائد، لهذا فنيتشه حاول العودة إلى أسطورة ديونيزوس للعمل على تحرير الشعوب من السلطة الذاتية، فقدم نقداً للحداثة عبر التراجيديا الإغريقية، فهو أعاد النظر في الذاتية التي فرضت بشكل استبدادي، وحاول تخليصها من عزلتها، لكي تصبح منفتحة على إمكانية التحرر، فنيتشه يعتبر الفن» إسراف وانتشاء» لا محدود، لذلك ديونيزوسي الذي يعبر عن إرادة القوة اللاعقلانية، هو وجه من عملة الفن والمنبع الأصيل، رغم أنه يعتبر الفن يتغذى من ابوليون أيضاً «فن التصوير والرسم» اعتدالاً وانسجاماً ومن ديونيزوس « فن الموسيقا والشعر» إسرافاً وزخماً.

أخيراً: إن الفنّ تأمل وفلسفة التناقضات وقضية وجود على مدى العصور والحضارات ومعبر مهم في تشكيل العواطف والاحتياجات والتساؤلات، ولم يكن الفنّ بكلّ أشكاله الذي يصعب حصره في هذا المقال إلا إبداعاً حقيقياً ومرآة للزمن ولسان حاله، مع الاعتراف أنّ لكلّ جيل فنونهُ وتصوراته وأدواته الحضارية التي تعرّف به.

المقاومة بتوقيت دمشق

حسام حمدان

في إطار العروض السينمائية تحت عنوان «أيام سينما المقاومة «، والتي انطلقت في دار الأوبرا تحت رعاية وزارة الثقافة السورية وبالتعاون مع الجمعية اللبنانية للفنون «رسالات». عُرِض الفلم الذي سأتناوله اليوم.

بتوقيت دمشق «Damascus time» أو رحلة الشام ٢٧٠١

للمخرج الإيراني «إبراهيم حاتمي كيا» عن نص له أيضاً وهو من إنتاج إيران (عام ٢٠١٨)

الممثلون:

من إيران: «بابك حميديان» (في دور علي) و«هادي حجازي فار» (يونس والد علي)

من لبنان وسورية: (بيار داغر، محمد شعبان، الليث المفتي، سامر خليلي، خالد السيد، ندى أبو فرحات، سينتيا كرم، كارمن بصيص، محمد علي سكر، جوزيف سلامة، رامي عطاالله)

المؤثرات الخاصة نفّذها فريقان إيرانيان بإدارة «محسن روزبهاني» و«هادي إسلامي».

بدأ تصوير الفيلم في موقع أحد المطارات العسكرية في طهران. ثم انتقل إلى العديد من المواقع في إيران، كما صوّر في تدمر ودمشق. تروى أحداث الفيلم باللغات الفارسية والعربية والإنكليزية.

تمر الكتابة عبر الشاشة في بداية الفيلم «في كانون الثاني لعام ٢٠١١ دخلت سورية في أزمة كبيرة» ..... «ثمة كارثة إنسانية كانت على وشك الوقوع ولا سبيل لتفاديها سوى عبر إيصال المؤونة والمساعدات عن طريق الجو وقد كان الطيارون الإيرانيون من السبّاقين لإنجاز هذه المهمة».

الأحداث الأساسية للفيلم تجري على أرض سورية (تدمر- دمشق) وعلى متن طائرة النقل العسكرية السورية «إيليوشن»، حيث إن الطيارين الإيرانيين «علي» ووالده «يونس» يتابعان القيام بمهماتهم الإنسانية في سورية عقب الحرب التي تشن عليها..

وتبدأ الأحداث بمشاهد لإسقاط المساعدات على بعض القرى المحاصرة، حيث تسقط الصناديق بالمظلات، ويصوب الدواعش بنادقهم عليها، في محاولة لعدم وصولها للمحاصرين من الأطفال والنساء.

لنتعرف على الطيار «علي» الذي كان يقود عملية الإسقاط والذي ترك زوجته وهي تنتظر مولوداً فقدته بعد ذلك، وكان على وشك انهاء مهماته والعودة إلى بلده، لكنه علم بوجود مهمة عاجلة، حيث إن هناك طائرة نقل عملاقة على أرض مطار تدمر يتواجد على متنها جنود سوريون بعضهم جرحى، وبعض المدنيين الهاربين من بطش الإرهابيين، مع عدد من معتقلي تنظيم داعش الإرهابي، وبعض جثامين الشهداء ومنهم القائد الأساسي للطائرة الذي استشهد، ولا يوجد بديل جاهز عنه ليقوم بالإقلاع الى دمشق قبل وصول الإرهابيين لمكان وجود الطائرة..

يتبرع الأب يونس للقيام بالمهمة، لكن الابن علي يعرف مقدار الخطر الكامن في العملية، وخاصة مع كبر سن والده وتوقفه عن الطيران لفترة طويلة من الزمن (أربع سنوات)، لذلك يرفض ويصر على التنفيذ، ويصعد قبل والده إلى طيارة الهيلوكوبتر التي تقل الوالد الى تدمر..

يفاجئ الأب عند صعوده للطائرة بوجود علي ويطلب من ابنه العودة والبقاء بجانب زوجته التي ستلد قريباً..

لكن قرار الأبن كان حاسماً ولم يكن بإمكان الأب ثناءه عنه..

تبدأ العملية بتحرك الطائرة تحت جنح الظلام من مدرج الإقلاع في مطار تدمر، ليلمح الطيار مجموعه من الانتحاريين من داعش كانوا يتقدمون باتجاه الطائرة من آخر المدرج في هجوم مفاجئ، ما استدعى تدخل الضابط (أبو بلال) الذي فجّر نفسه بهم بسيارته العسكرية، لتتمكن الطائرة من الإقلاع في آخر لحظة..

قبل الوصول تمكنت إحدى الداعشيات من استعمال خنجر، لفك وثاق الشيخ ممدوح زعيم المجموعة الداعشية المنقولة في الطائرة، ما أدى لوقوع الطائرة تحت قبضة داعش، واضطرها للهبوط في مطار صغير ..

جرت مفاوضات بين الطيار الحاج يونس وبين شيخ الدواعش، فتم إخلاء سبيل النساء والأطفال والجرحى مع توابيت الشهداء في المكان الذي حطت به الطائرة، مقابل أن يعود بها الحاج يونس وابنه إلى تدمر.

وتم الأمر لتنتظر الطائرة عند هبوطها مجدداً على المدرج جحافل داعش بقيادة أبي عمر الشيشاني، الذي يأمر بتصفية الشيخ ممدوح، وليظهر حال هذه الجماعات المسلّحة الإرهابية المنقسمة فيما بينها، عقائديّاً، ومزاجيّاً، والتي ترهق أطرافها الصراعات..

يأمر الشيشاني بإلباس الرجال الثياب البرتقالية تهيئة لتصوير عملية ذبحهم على الإعلام.

ونكتشف أن التنظيم الإرهابي يريد أن يستعملهم في أكثر من حدث صادم ليعطي الانطباع بفداحة خسائر خصومه في إطار حربه النفسية. وبالفعل تم تصوير العملية بخدعه حيث مرّت الخناجر على الرقاب من دون ذبحها..

يقوم «أبو طلحة البلجيكي» بعد وضع الأسرى في أقفاص، بالطلب من الطيار علي الإقلاع بالطائرة نحو دمشق وترافقه «أم سلمى» الداعشية التي تتحكّم بزر التفجير لسترة ناسفة ألبسوه إياها.

هنا يدرك الطيار علي أنهم ذاهبون لتنفيذ عملية انتحارية لتفجير هدف ما بالطائرة في الجو، في مشهد شبيه بتفجيرات البرجين في ١١ أيلول، ويحاول منع ذلك حيث يقوم بتشغيل القيادة الآلية للطائرة، ويحرر أقفاص المعتقلين ويدفعها من الطائرة لتهبط عبر المظلات إلى الأرض، ثم يفجر الحزام الناسف بالطائرة لتسقط محترقة بعد انفصالها لعدة أقسام.

لقد أبدع المخرج في بث الإثارة والتعاطف، كما أبدع في التشويق والدهشة، بدأ بالحزن والقهر والترقب والغضب وأنهى الفيلم بالأمل.

في المشهد الأخير يظهر الأطفال في باحات المدارس، ويظهر طفل ينطلق على دراجته فرحاً مسروراً في فضاء رحيب تحيطه حقول القمح الصفراء، وهو محمد الطفل نفسه الذي ظهر في بداية الفيلم ملوحاً للطائرة حين خروج الأهالي من تدمر، في إشارة ربما إلى أن هؤلاء الأبطال في الفيلم قدموا حياتهم فداء للأرض وللأطفال الذين يستحقون العيش بسلام.

ساعة وخمسون دقيقة من الحركة الدائمة والإثارة على الشاشة في

مشاهد تنتقل من الأرض إلى السماء حيث تفضي الأحداث بعضها إلى بعض بسلاسة خالية من التكلف والافتعال.

ابتعد الفيلم عن التوجيه المباشر، وطرح رسائله بذكاء عبر أحداث مقنعة ومشاهد مدهشة تشدّ المتلقي وتوصل إليه الفكرة. الشخصيات أدت أدوارها بشكلٍ متقن ومدروس وكانت الصورة مبهرة، تعب كادر الفنيين بقيادة المخرج لإيصالها إلى المستوى العالمي..

رشح الفيلم لثمان جوائز (عنقاء بلورية) في مهرجان الفجر السينمائي الدولي وفاز بثلاث جوائز لأفضل إخراج لإبراهيم حاتمي كيا وكذلك جائزة أفضل تركيب للأصوات لعلي رضا علويان وأفضل موسيقا لكارن همايون فر.

يعج الفيلم بالصراعات الثانوية، كالصراع بين افراد داعش نفسها التي يحكمها الحقد والغطرسة حيث يحتكمون في صراعاتهم بين بعضهم لسفك الدماء وقطع الرؤوس، والصراعات الداخلية النفسية كصراع الطيار علي بين ضرورة الالتحاق بزوجته، خاصة أنها أجهضت سابقاً، وبين ضرورة مد يد المساعدة للمدنيين العزل وتقديم الغوث لهم.

لكن الصراع الأساسي يبقى الصراع بين الخير والشر.. بين الجيش السوري (ومن معه من الطيارين الإيرانيين) من جهة وبين داعش من جهة أخرى..

استفاد الفيلم من خبرة السينما الإيرانية الواسعة في تصوير أفلام الحرب، فكانت الصورة مقنعة، زادها الاستخدام المدروس لزوايا التصوير تأثيراً وإيحاءً..

ولجأ المخرج لاستخدام اللقطة المتوسطة التي أعطت المتفرج فرصة لاستيعاب الأحداث التي تميزت بالحركة والإثارة، واستخدم اللقطات الكبيرة حين أراد الغوص في أعماق الشخصيات ليقترب من العالم الداخلي لها..

أما اللقطات العامة فغالباً ما كانت تصور الدمار لتدعو للتأمل في واقع الحرب (مبانٍ ضخمة محطمة . مسجد مدمر وصومعة مطروحة أرضاً) حيث تثير في المتفرج الصدمة عندما يرى هول الكارثة..

أخيراً:

إذا شعرت وأنت تقلب الصفحة الأخيرة من كتابتك حول فيلم أنك بحاجة إلى المزيد من الحديث رغم الإسهاب فأعلم أنه كان فلماً مهماً..

وإذا اشتد الصراع بين الحق والباطل في الشام، فاعلم أن النصر قادم والتاريخ سيكتب بتوقيت دمشق والمقاومة..

صحفي ومخرج سينمائي

أشياء شخصية ولكن

مها محفوض محمد

من المعروف أن الكثير من الأمور الشخصية التي تخص المشهورين ، تحدث وقعا كبيرا لدى المتلقين حين تنشر أو يتم العثور عليها ، مثل المذكرات ، او غير ذلك من أشياء لايريدون لأحد أن يطلع عليها ، وهم على قيد الحياة ، وهنا نشير إلى أن عبد السلام العجيلي الكاتب السوري المعروف قد نشر كتاباً تحت هذا العنوان ، وفي الغرب يظهر الأمر أكثر من الثقافة العربية وكان قد تم العثورعلى مذكرة مؤلف الملهاة الانسانية الضخمة لفئة الكتاب الأكثر ثورية في الأدب العالمي».. فيكتور هيغو.

«لم يبشر بلزاك بما هو قادم من أعماله، انه مبدع العالم المعاصر لذلك يتوجب على أي أديب أن يقرأه ليحمل تلك الصفة»..ساندراس.

اليوم يتم العثور على مفكرة بلزاك الشخصية حيث كان يسجل ملاحظاته عن أعماله وعن مشروعه الأدبي الروائي الكبير «الملهاة الانسانية».

حدث دفع دور النشر الى عالم الحلم حيث تم العثور على أشياء لم تنشر بعد عن أبرز وأكبر الكتاب الاوروبيين، طبعاً هي ليست رواية أخرجت من صندوق ضائع بل ان الأمر يتعلق بدفتر يوميات كان يدون فيه الكاتب عن عمله الكبير والذي يعد الأكثر اتساعا وشمولا على الاطلاق في الأدب الفرنسي ألا وهو الملهاة الانسانية.

لقد وضع بلزاك في مفكرته عناوين مثل «أفكار ومواضيع ومقتطفات» يلي هذا العنوان تواريخ على الشكل التالي «شباط ١٩٣٣-٢٧ أيلول ١٨٣٣» كما تحتوي المفكرة على ست وثلاثين صفحة من الملاحظات والأقوال المأثورة والرسوم والمصورات، أما الكتابة فهي دقيقة جدا ومضغوطة ويرجع الفضل في هذا الاكتشاف الى السيد جيرار ايرتييه المولع بهواية جمع الأثار الأدبية والفنية وهو مؤسس متحف الآداب والمخطوطات ويبدو أنه حصل على هذه المفكرة القيمة منذ حوالي عام تقريباً وتجدر الاشارة الى ان المختصين بأدب بلزاك كانوا على علم بوجودها لكنهم يجهلون كيفية الوصول اليها بعد أن آلت ملكيتها للكونت شارل ديلون فيجول وهو أحد كبار هواة تجميع آثار الأدب الفرنسي وكان الحدث حين اعلن عنها في جلسة مزاد علني واستطاع جيرار ايرتييه اقتناء الوثيقة الهامة حيث وقع عليه المزاد.

ويستطيع اليوم الجمهور أن يطلع على هذه المفكرة المكتوبة بالحبر الأسود المصنوع من السبيدج والتي قال عنها بلزاك: «انها البستان الكبير لأفكاري».

ومما عثر عليه في هذه المفكرة مخطط رواية الأب غوريو الذي كتبه بأربعة أسطر من بعض مفرداتها: «موضوع الأب غوريو- شاب مقدام،فندق برجوازي، راتب تقاعدي يبلغ ٦٠٠فرنك، حصة لابنتيه تبلغ خمسين الف فرنك،ويموت كالكلب».

هناك أيضا جمل متناثرة وكأنها لا رباط لها إلا اننا نستطيع أن نجدها في الروايات مثل: «جريمة كبرى قد تكون في بعض الأحيان قصيدة شعر» وهذا ماسطره فعلا في روايته «جلد الحزن»، ويقول مدير المتحف: ان بلزاك كان يستخدم أيضا ألبومه هذا من اجل ملاحظات عملية كرسم مخطط سكني أو لتسجيل المواعيد أو لرسم صور على بعض صفحاته.

لقد شكلت روائع بلزاك انطلاقا من آلشوان الى الأوهام الضائعة و«قسيس القرية» و«زنبقة الحقل» مروراً بـ «اللص» و«الفتاة ذات العيون الذهبية» شكلت مدرسة لكل طالب في الأدب، أيضاً من قصائده وأبرزها «كرمويل» الى رواياته التي غطت عقدين من الزمن لتصل الى خمس وثمانين رواية وهو أكبر رقم يسجله أديب أوروبي في العالم.

لقد كانت روائعه تلك صدى لحياته الصاخبة في باريس وجنيف وفيينا وعدة مدن ايطالية، كما خاض بلزاك الى جانب أسفاره تجربة اكتشاف المجتمعات المخملية الاوروبية وتعرف على النبلاء وارتبط بمغامرات وعلاقات حب مع الدوقة انبرانتيس كما تحول الى صحفي واشترك في تحرير عدة صحف أيضا تناول القصة القصيرة قبل أن تجعل منه الملهاة الانسانية أهم وأشهر روائي.

كانت مؤلفاته تعشقها القارئات أكثر من النقاد وقد تجولت تلك الأعمال في الأوساط الارستقراطية والبرجوازية الصغيرة والريف الفرنسي وكانت الكونتيسة البولونية هونيسكا أول من بادله المراسلات وقد عمقت هذه المراسلات علاقة الحب التي قامت بينهما لتترك زوجها وتتزوجه.

وفي مفكرته يبدو انه يتحدث عن هذه المراسلات بإهتمام.

يقول بلزاك عن مفكرته:إنها كتابي وضعت فيه كلّ أفكار مؤلفاتي وأشياء كثيرة.

ضرورة لا ترف

لينا كيلاني

الحلم هو توق النفس الإنسانية لما هو أبعد من الواقع، والأدب، ومعه الفن هما ما يجعلان هذا الحلم حقيقة، وعنصراً إيجابياً يثري الحياة. ولو اعتبرنا أن الأدب بأجناسه المختلفة من شعر، ومسرح، وقصة، ورواية، ومعه الفن كذلك بمجالاته المختلفة من رسم، وتمثيل، وغناء، ورقص، وبنوافذه المتعددة من سينما، وتلفزيون، وخشبة مسرح، وشاشات ذكية.. أقول لو اعتبرنا أن كل ذلك وحدةً واحدة عندئذ أستطيع أن أقول إن الفن، والأدب هما ما يعطيان المعنى، والتعليل لكل ما هو من حقائق الحياة، ومشاهداتها.. فكم من حلم للبشرية قاده الخيال الذي تفتّح من خلال الأدب، والفن.

ولو توقفت عند سؤال: كيف نقرّب الحلم من الواقع؟.. لقلت إن: هذه المهمة يجب أن تأخذ منطق العصر الذي تولد فيه.. مَنْ منا كان يتصور أن أحلام البشرية الأولى في الطيران، واختراق المسافات، والحواجز سوف تصبح حقيقة، وقد كانت حبراً على ورق؟.. وها قد أصبح لدينا ما تجاوز الحلم الأول من طائرات تقطع المسافات، وصواريخ، وسفن تقتحم الفضاء وهي تتجاوز الآفاق.. وها قد أصبح لدينا أيضاً قنوات فضائية تبث الأحداث حتى وهي تجري في مكانها البعيد عنا من العالم لنشاهده كما لو أننا ضمن الحدث ذاته.. كل ذلك عزز من آفاق الفن، وزاد من تأثير الكلمة وهي تصل عبر الوسائل الحديثة.. والهاتف أيضاً بتقنياته التي جعلته مرئياً ألم يحقق هو الآخر حلماً للبشرية؟

ليست المخترعات، وآفاق العلم بعيدة عن الحلم، والخيال، بل إنها تأتي من خلالهما.. والإنسان بتفوقه يرفض أن يقف أمام الحياة وكأنها لغز محير، فكان الأدب مفتاحاً لأبواب السؤال بدءاً من الفلسفة، والعلاقة بالإله، وليس انتهاءً بما ينفتح من أسئلة وجودية، وحياتية مُعاشة.. والأدب في هذا السياق لا يعدم وسائله في فك رموزها، وأسرارها.. والفن أيضاً هو الذي يخلق تلك المصالحة الرائعة بين عوالم النفس، والعالم الخارجي، وبين الروح، والمادة.

إن إنسان اليوم ليس هو إنسان الأمس ونحن في كل قرن من الزمن نقطع أشواطاً في تطور العقل البشري.. والأدب اليوم أصبح ضرورة لا ترفاً بعد أن تطورت المفاهيم، وتبدلت، وبعد أن تعقدت الحياة المعاصرة، وقد فرضت بدورها تبدلاً معيناً في مضمون هذا الأدب ليفتح نوافذ جديدة للسؤال يتبعها اقتناص الجواب. والفن هذا الذي يهذب النفس أليس من مهامه أيضاً الإمتاع والتشويق؟ بل إنه يفعل، وهو يتطور مع بيئاته، وما تتيحه له التقنيات الحديثة.. وكذلك يفعل الأدب في تطوير الفكر، والقيم، وبلورة القدرات الإبداعية، وتحويل الدهشة، والسؤال إلى فضول حتى ولو كان علمياً، والتغيير من طريقة مخاطبة العقل حسب معطيات العصر. ويظل كل من الأدب، والفن ضرورة في توثيق الأحداث المفصلية التي تمر بالأمم والشعوب. ودون أن ننسى أنهما يفعلان فعلهما في الوقت ذاته أيضاً في الحِراك المجتمعي، والآخر السياسي.

لطالما كانت الجماليات الأدبية، والفنية هي الأقرب إلى النفس البشرية إذ إنها تظل أفضل سبيل لإدخال المرء ضمن دائرة المعرفة الحقيقية، وجعل الفكرة أكثر قدرة على التعبير.

لقد أصبح من الضروري في هذا العصر مخاطبة القناعات قبل الإلهاء بحلم لا يلقي بأجنحته فوق أرض الواقع.. فكما أن الخيال هو المادة الأساسية للكاتب، وللفنان فهو الغاية ذاتها بالنسبة للمتلقي بشرط أن يصل إلى غاياته في المعرفة، والتطور.

والخيال بحد ذاته متعة، وهبة إلهية تتجلى من خلال الفن، وبين حروف الكلمات.

لامارتين ودمشق ....مدينة البهاء والجمال

د. سلوى الحلو

من المعروف أن معظم رحلات المستشرقين إلى البلاد العربية كانت لغاية الاطلاع الاستعماري والتجسس وقراءة ما يجري في هذا الوطن المسمى البلاد العربية..

لكن بعضهم كان خارج المهمة هذه سحره الشرق ولا سيما دمشق الفيحاء..

فكيف اذا كان لامارتين هو الذي يصف جنة الله على الأرض...

من النصوص المتداولة والمنسوبة له النص الماتع التالي وقد نشرته العديد من الكتب والصحف ومنها (البيان) الإماراتية.

ورحلته كما تقول البيان من أشهر الرحلات الفرنسية إلى الشرق، رحلة الشاعر لامارتين، الذي كتب، خاصة، عن لبنان وسورية نصوصا قلدها الكثيرون من بعده، انطلاقاً من رصده الرومانيسي الشاعري والدقيق لحياة تمكن من أن يضفي عليها سمات المثل العليا.

وهنا في هذا النص المستقي من مجموع كتاباته عن «الشرق الأدنى» نصل مع لامارتين إلى تخوم مدينة دمشق، ثم إلى داخل بازارتها وحتى داراتها، لنشاهد، عبر نظراته، حياة تضج بالبهاء والجمال، في دمشق القرون الغابرة.

(استكملنا ارتداء الثياب التركية حتى لا يدرك أحد في ضواحي دمشق أننا من الفرنجة، وارتدت زوجتي زي النساء العربيات إضافة إلى حجاب طويل من القماش الأبيض أحاط بجسمها من أعلى إلى أسفل.

أما رفاق رحلتنا من العرب فقد أخذوا يسوون هندامهم بشكل أفضل. وفجأة راحوا يشيرون إلى الجبال التي كان لا يزال علينا أن نقطعها قائلين «الشام! الشام!» والشام هو الاسم الشعبي لدمشق. دمشق المدينة المبجلة، الحرة وذات الشوكة، التي لا يجوز تدنيسها.

بعد دخولنا دمشق نصل إلى طريق ضيقة وعرة منحدرة بقوة، لتروح قطع من الحجارة تنزلق تحت قوائم أحصنتنا. كنت أنا على رأس القافلة على بعد خطوات وراء عرب الزيداني.

وفجأة، وقف هؤلاء مطلقين صرخة ما وهم يشيرون بفرح إلى فتحة في آخر الطريق. اقتربت لأرسل نظراتي عبر الصخور فتقع على أروع وأغرب أفق حدث له أن أدهش نظرة إنسان:

إنها دمشق وغوطتها على بعد مئات الأقدام من المكان الذي أقف فيه. أول الأمر حطت نظراتي على المدينة التي، إذ تحيطها حصونها المبنية من المرمر الأصفر والأسود، وإذ تحيط بها أبراجها المربعة التي لا تعد ولا تحصى، وإذ تشرق عليها غاباتها ومناراتها ذات الألف شكل والألف لون.

وإذ تجتازها فروع نهارها السبعة، فتبدو وكأنها متاهة من الحدائق والقصور والسواقي، تضيع العين فيها ولا تترك نقطة سحر إلا لتصل إلى نقطة سحر أخرى. كنا الآن قد غدونا على بعد ٥٠٠ خطوة فقط من أسوار المدينة المحاطة بالأكشاك الرائعة وبالبيوت الريفية.

وكلّها كانت تبرق مثل صحن ذهبي من حول دمشق. والحال أن القباب العديدة التي تعلو المساجد والقصور في هذه المدينة التي يعيش فيها أكثر من أربعمئة ألف نسمة، كانت هي التي تواصل توزيع أشعة الشمس رغم شروع هذه الأخيرة بالغروب.

أما الأفق من خلف المدينة فكان يبدو مثل بحر فسيح، وكأنه بحر يختلط بأطراف السماء الأرجوانية التي باتت الآن تبدو كالنار، ومن الواضح أنها تلهب رمال الصحراء حتى

اللحظة.

إذاً حرارة لاهبة وشمس براقة ومدينة مرمية على مد النظر. أما في الداخل، فقد لاحظنا منذ دخولنا صخب حركة الشوارع الضيقة والضجة والصخب في البازارات.

ومن بين هذه البازارات هناك البازار الكبير الذي يصل طوله إلى نصف فرسخ. والبازارات هنا عبارة عن جادات عريضة تغطيها سقوف مرتفعة، وتحفّ بها الحوانيت والمعارض والدكاكين والمقاهي.

والحوانيت غالباً ما تبدو ضيقة العمق. أما المخازن والدكاكين، فهي مليئة، أساساً، بالأقمشة الهندية التي تتدفق على دمشق عن طريق القوافل البغدادية. وطوال النهار وحتى ما قبل المساء بقليل تزدحم تلك البازارات بجماهير من الناس يماثل عددها أحياناً عدد الجماهير التي تزحم غاليرهات باليه رويال في باريس.

صانعو السروج هم الأكثر عدداً والأكثر مهارة بين عمال البازارات. والحقيقة أن ليس ثمة في طول أوروبا وعرضها ما يضاهي ذوق وجمال وغنى السروج الفخمة التي تصنع هنا في دمشق لتوضع فوق ظهور جياد الزعماء العرب وأعيان البلاد وآغاتها. والسروج تغطى عادة بأنواع المخمل والحرير المزين بالذهب واللآلئ. أما العقود الجلدية الحمراء التي تتدلى منها، فإنها مزينة كذلك ولكن بقطع شرائح من الذهب والفضة.

في طول البازار وعرضه تفوح رائحة خشب الأرز. والحقيقة أن هذا المناخ المكون من ألف عطر وعطر، والذي يفوح من حوانيت البخارين وباعة التوابل والعطور والأعشاب المداوية من شتى الأمراض.

ومن أكياس العنبر والمطاط المعطر والقهوة يذكرني بالانطباع الذي خالجني في المرة الأولى التي اجتزت فيها مدينة فلورنسا الإيطالية حيث لاحظت رائحة مماثلة تقريبا تنبعث من أعلى السقوف الخشبية التي تغطي بعض الشوارع.

وفي وسط بازار دمشق هذا قيض لي أن أعثر على أجمل خان شاهدته في الشرق، وأعني به خان حصاد باشا، فهو أشبه بالجنة وفيه ينابيع ماء وأحواض تبقيه منعشاً طوال اليوم. وهذا الخان يستخدم هنا كمقر لغرفة تجارة دمشق (البورصة). أما باب الخان الذي يفضي إلى البازار فإنه يشكّل واحدة من أجمل قطع الهندسة الإسلامية، والأكثر غنى بالتفاصيل والموتيفات.

حياة دمشق كلها تتمركز في البازارات. وهذه تكون، عادة، حافلة بالناس صاخبة بمقدار ما تكون الأحياء الأخرى خاوية صامتة. أما أردية الناس، وهي غالباً وردية اللون أو خضراء أو زرقاء ومعظمها من الحرير، فإنها تبدو ساطعة براقة تحت تأثير الضوء العذب الآتي من أعلى، ما يجعل المشهد في مجموعه مشهداً ذا ألوان رائعة ذات سحر فريد من نوعه.

وبالنسبة إلى النساء، أذكر أننا شاهدنا، حين قيض لنا ذلك، عبر الحجاب أو حتى أحيانا في منأى من الحجاب على وجوه نسائية لم يسبق لأي ريشة رسام أوروبي أن صورت مثلها.

ولا سيما العيون التي يعطيها صفاء الروح الداخلي لوناً أزرق لازورياً، والجلد الذي يبدو من الرقة والشفافية بحيث يبدو في الوقت نفسه مفعما بالعديد من الألوان. أما الأسنان والابتسامة وحركة الجسد فكلها تبدو طبيعية، مثلما حال رواق الصوت ورقته، كل هذا يبدو شديد التناسق بين بعضه البعض.

أما ثياب أغلب النساء الفاتنات فتبدو كلها في غاية الأناقة، بل أكثر أناقة ونبلاً ورفعة من أي ثياب نسائية أخرى سبق لنا أن شاهدناها في الشرق. ولا يفوتني هنا أن أذكر أن بعض الرؤوس الساخرة كانت ذات شعر رائع طويل يغطي الجبهة ضفائر ضفائر ثم ينهدل في ضفيرتين كبيرتين تنزلان على جانبي العنق والكتفين، فيما زينت السوالف بالزهور.

بل ثمة نساء زين شعرهن بالحجارة الكريمة وقطع الذهب. إضافة إلى قطعة ذهب رئيسية مميزة توضع في أعلى الرأس. أما الجسد فيبدو مغطى، عادة، في أعلاه، بسترة ذات أكمام عريضة مفتوحة صنعت من الحرير الموشى بالذهب والفضة.

وعلت سروالا أبيض عريضا ينزل ثنايا ثنايا حتى القدمين، فيما انتعلت هاتان «مشاية» من الجلد الأصفر. أما فوق هذا كله عند أعلى الكتفين فتحة رداء طويل من الحرير البراق منسدل وقد فتح عند الصدر وفوق السروال وربط فقط عند الوسط بحزام يصل طرفاه إلى الأرض، ترى، أمام مشهد مثل هذا، هل كان في إمكاني أن أبعد عيني عن كلّ هذا السحر؟

لكن الحياة ليست في البازار، أي في الخراج فقط، بل إن جزءها الأساسي يدور داخل البيوت، والحال أن داخل البيت الدمشقي حيز يعطينا صورة رائعة عن واقع الحياة اليومية السورية، وسط هندسة للبيت غاية في الجمال.

وأنا أدهشني غنى وأناقة هذه الدارات من الداخل. فالمرء ما أن يجتاز الباب ويعبر ممراً مظلماً حتى يجد نفسه في فناء تزينه أحواض ونوافير الماء الرائعة وتظلله شجرتا تين فارسي. وتحف بالفناء مصاطب عريضة من الحجارة المصقولة، أو من المرمر.

أما الجدران فتنساب عليها الدوالي، وهي في الأصل تكون مغطاة بالمرمر الأبيض والأسود. وحول الفناء عادة خمسة أبواب أو ستة، صنعت صوانيها من المرمر أيضاً، وهي منحوتة ومرقشة تقود إلى قاعات وغرف يعيش فيها رجال الأسرة ونساؤها.

وهذه القاعات عادة فسيحة ومقببة، أما الجدران فتمتلئ بالنوافذ الصغيرة التي من وظيفتها أن تترك مجالاً لتسرب أشعة الضوء والهواء إلى داخل المنزل.

من أدب المهجر المنسي

عبد الحكيم مرزوق

صدر حديثاً ديوان الشاعر والكاتب المهجري توفيق فخر جمع وإعداد الدكتور حسان أحمد قمحية الدكتور . يقع الكتاب في ١٢٨ صفحة من القطع المتوسّط، ويجمع بين دفّتيه ما استطاع قمحية الوصول إليه من شعر الشاعر مفهرساً ومبوّباً بحسب القوافي والبحور. لم يحظَ الأديب والشاعر المهجري توفيق فخر بجمع شعره وصدوره في ديوان. لذلك عمد د.قمحية إلى جمع ما استطاع من شعره بعد تعقّبه في مختلف المجلّات والوثائق المهجرية التي كان ينشر فيها. وبعدَ جمع تلك القصائد، قمتُ بذكر مناسباتها وتدقيقها وضبط كلماتها بالشكل وشرح المفردات الصعبة. كما رتّبتها بحسب القوافي. وجعل في نهاية الديوان فهرساً للقصائد بحسب البحور، كما ذكر بحر كلّ قصيدة بجانبها في متن الديوان. وقبل البدء بترتيب القصائد، بدأ الكتاب بالحديث عن حياة شعره، وأجرى دراسة مبسّطة وسريعة على ملامح شعره. كما كان مقدّمة الكتاب فرصة للمرور سريعاً على الأدب المهجري عامّة، ولم ينسَ الحديث عن ماهية الشعر ووظيفته عندَ العرب. وُلِد توفيق فخر سنة ١٨٨٣ م في طرابلس الشام بلبنان من أبوين مسيحيين من طائفة الروم الأرثوذكس، ودرس في المدرسة الوطنيّة وعندَ إخوة المدارس المسيحيّة في مدينته، ثم قام بمهمّة التدريس وهو ابن ستّ عشرة سنة في مدرسة الجمعيّة الروسيّة الفلسطينيّة مدّة ثلاث سنوات، وقد أجادَ العربيّة والفرنسيّة ومبادئ الروسيّة، ولُقّب آنذاك «بالمعلّم الصغير». سافر الأديب فخر، سنة ١٩٠٢ م، إلى جمهورية سانتو دومنغو في أميركا الوسطى بدعوة من قريب له ميسور الحال، لكن لم يَرُق له البقاء هناك، فقرّر العودةَ إلى وطنه عبر نيويورك، لكن أعجبته هذه المدينة بعمرانها وحضارتها فبقيَ في الولايات المتّحدة الأميركيّة منذ سنة ١٩٠٥ م. عمل في بادئ سيرته في المهجر الأميركي الشمالي في بعض المحلّات التجارية، وتطوّر به الأمر إلى أن أصبحَ مديراً عاماً لشركة كبيرة، وقد أوصله عمله الجديد إلى بحبوحة من المال، فأسّس مصنعاً للمطرّزات بالاشتراك مع اخوته الذين استقدمهم من طرابلس. ولكن، كانت له ميولٌ إلى الأدب والشعر، فلم تشغله تجارته عن ذلك، حيث ظلّ يدبّج الكثيرَ من المقالات وينظم القصائد، وينشرها في مجلّات المهجر وصحفه، لاسيّما مجلّة السمير وجريدة السائح. وكان يطيب لمن حوله أن يسمّوه «شاعر الفَيْحاء»، وهو لقب لمدينته التي وُلدَ فيها طرابلس الشام. ترك توفيق فخر آثاراً نثريّة، من أهمّها تراجم الأدباء المعاصرين في نيويورك وخارجها، وقد جاءت تحت عنوان: «تراجم الأدباء المعاصرين في نيُويورك وخارجها»، وهو عملٌ ضخم يتناول سيرة ثمانين أديباً. لم يقتصر نشاط توفيق فخر على العمل التجاري والأدبي، بل تعدّاه إلى المشاركة الدؤوبة في الحياة الاجتماعيّة والجهود الخيرية والإنسانيّة، فقد أسّس وترأس عدّة جمعيّات، ومنحته الحكومة اللبنانية دبلوم الشرف تقديراً لخدماته في الجناح اللبناني في معرض نيويورك الدولي سنة ١٩٣٩ م. تزوّج توفيق فخر سنة ١٩٢٤ م من فتاة أميركيّة، وأعقب منه ولداً أصبح دكتوراً في الفلسفة وأستاذاً في المعهد اللاهوتي في مدينة لانكستر. وقد توفّي الشاعر في نيويورك في ستّينيّات القرن الماضي، ودُفن فيها. يقول د. قمحية :لم يخرج توفيق فخر في شعره، الذي وجدتُه وأثبتُه في هذه

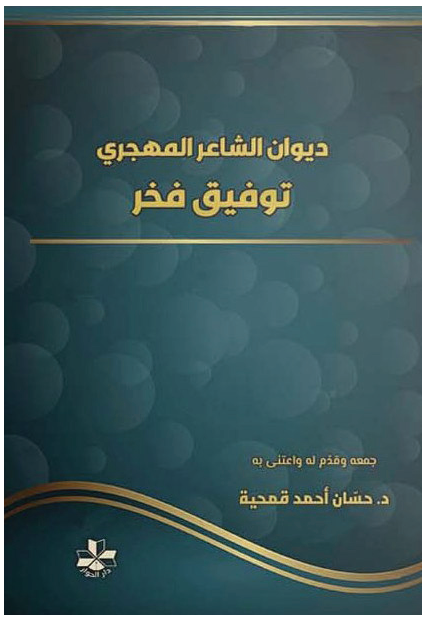

الطبعة من ديوانه (الذي يعدّ وثيقة جديدة من وثائق الأدب المهجري)، عن البناء العمودي التقليدي للقصيدة العربيّة (الإيقاع الخارجي)، والتزم بحورَها ووحدةَ قافيتها. وكان شعرُه مقتصراً على المناسبات تقريباً. وقد غلبت عليه الصفة التقريريّة والمباشرة، دون أن يخلو من بعض المواضع والأبيات التي كان لها نصيبٌ من الشعريّة.

«حب في زمن الكورونا» سرد من زمن الوباء

قصي عطية

(حبٌّ في زمن الكورونا) هو عنوان المجموعة القصصية للكاتبة (نور عمران)، الصادرة عام ٢٠٢١ عن دار أرواد للطباعة والنشر. وتتألف المجموعة من اثنتين وعشرين قصة، هي: (خيط الحياة، عذراً أيها الحب، أمويّة الهوى، كعب عال، أقنعة الحياة، لو، وسم، لقد وقعت في غرام أستاذي، حب في زمن الكورونا، خمرة الحياة، مونولوج، أمومة، حب في فضاء أزرق، الآنسة سين، ألوان الحب، في الليلة العشرين، طوفان، مخاض من رحم الموت، غباء، على مشارف الضوء، الغالية غالية، متّصل أبداً).

وسأقوم في هذا المقال بتحليل طريقة بناء الحوادث، في بعض قصص المجموعة، أو ما يمكن الاصطلاح على تسميته بـ (الحبكة).

الحبكة تعريفاً هي (فنّ ترتيب الحوادث، وسردها وتطويرها بحسب منطق الحياة والواقع)، وللحبكة نوعان: حبكة مُحكَمة: تقوم على حوادث مترابطة متلاحمة تسير في خط متدرّج متشابكة شيئاً فشيئاً حتّى تبلغ الذروة، ثمّ تنحدر إلى الحلّ، وعنصر التشويق هو الحيل التي يعمد إليها الكاتب لإرجاء الحل. وحبكة مفكّكة: يذكر فيها الكاتب أحداثاً متعدّدة غير مترابطة برابط السببية فيما بينها، وإنّما هي حوادث ومواقف وشخصيّات متفرّقة، قد لا يجمع بينها سوى أنّها تجري في مكان واحد أو زمان واحد.

والسؤال هنا، كيف رتّبت الكاتبة (نور عمران) حوادث قصصها، وهل نجحت في خلق عنصر التّشويق عند القارئ، وهل كانت الحوادث مفتعَلة أو كانت تنساب بعفوية واتّقان؟

بالعودة إلى قصص المجموعة وتتبّع طريقة بناء الحوادث، سنجد أنّها استقت حوادث قصصها من واقع الحرب في سورية، وزمن الكورونا. ففي قصتها المعنونة بـ (كعب عال) تبدأ الكاتبة قصّتها بتقنية الاسترجاع أو الاستذكار، على لسان البطل، وهو طبيب تُخبره زوجة أخيه (هند) بأنّ حبيبته (هيفاء) التي كان يحبّها قبل أن يتزوج منذ عشرين سنة قد عادت، فتستفيق الذكريات النائمة، وكأنّ الزمان كان متوقفاً عند الصورة التي رسمها لهيفاء بحذائها الأحمر ذي الكعب العالي، ويسترسل في الوصف لجمال ساقيها، وأنوثتها، ولا يصحو إلا على صوت (هند) ليقارن بين خشونتها وأنوثة (هيفاء) الاستثنائية.

يؤدّي هذا الوصف دوراً فعّالاً في رسم اللوحة الجميلة التي رسمها البطل في مخيّلته، والتي مازال يحتفظ بها عن هيفاء، وإن بدا للوهلة الأولى مُبالَغاً فيه، لكنّ ما أرجأته الكاتبة إلى نهاية القصّة، متقصّدةً ذلك، يجعله وصفاً بنائياً موظّفاً.

تعمّدت الكاتبة إخفاء بعض التفاصيل عن القارئ، وعن البطل أيضاً، لتفاجئ الاثنين معاً، أرادت هند من الطبيب أن يقرأ المنشور على صفحتها على «الفيسبوك»، فهي أمينة سرّ جمعية الأمل لشؤون جرحى الحرب والمقعَدين، وتسترسل الكاتبة مرّة أخرى في وصف البطل لعينَي هيفاء، إلى أن يحين الوقت لتُحدث المفاجأة للقارئ والبطل، وتكشف لهما ما أخفته، وأرجأته إلى النهاية، وتبلغ الأحداث ذروتها، حين تقول على لسان البطل: (ضبابٌ كثيفٌ غطّى عيني وقلبي، بالكاد مسحتُ شيئاً منه لأستوعب ما أرى، هيفاء تجلس على كرسيّ مُدولَب، يتدلّى منه غطاءٌ من الواضح أنّه لا يستر شيئاً، أين ساقاكِ يا يمامتي؟).

تتكشّف الخيوط أمامه، وأمام القارئ، حين يعلم أنّ هيفاء إحدى المصابات في الحرب، هو الذي انتظرها عشرين عاماً بعد أن هجرته بعد سنوات من الحبّ الجارف، لتعود الآن، ليست نادمة على فراقه، وليست مطلّقة كما توهّم، تعود بلا ساقين، هو الذي مازال يذكر كعبها العالي، وأرادت منه هند زوجة أخيه أن يجري لها عملية تركيب طرفين اصطناعيّين، لكنّه يعتذر لأنه لا يحتمل أن يراها ضعيفة عاجزة، بل سيرشّح أحد زملائه لهذه المهمّة.

إنّ ما قامت به الكاتبة من ترتيب لحوادث القصة، مؤجّلة الحديث عن حاجتها إلى عملية، جعل البطل يسترسل في وصف صورة هيفاء، ويبدو أنّ وصفه لساقيها وكعبها العالي كان مقصوداً، ليكون التشويقُ فعالاً، ولتصير الحبكة محكمة، إذ تقول الكاتبة في النهاية، على لسان البطل: (وأنا أسمع طوال الوقت صوت كرسيّ مدولب يسير في شوارعَ خالية إلا من أنفاسي).

إنّه حبٌّ في زمن الحرب، وحبٌّ آخر نجده في قصّة أخرى حملت المجموعة عنوانها: (حبّ في زمن الكورونا) بين المُعلّمة الشابّة (تالا) وحبيبها (باسل)، إذ تسير الحوادث وفق تسلسل سببيّ لا زمنيّ، تستخدم فيها الكاتبة تقنية الاسترجاع، هي المعلّمة الهاربة من الحجر الصحيّ في أثناء مرض الكورونا، لتلتقي بحبيبها العسكري القادم في إجازة قصيرة، ليعايدها في عيد المعلّم وعيد ميلادها.

لا تسرد الكاتبة أحداث قصتها وفق تتابعها الزمنيّ؛ إذ بدأت السرد منذ وقوفها على الباب الرئيسي للجامعة، تحاول أن تقنع الحارس أن يسمح لها أن تُدخل سيارة الأجرة إلى كليّة الآداب، متوسلة لكنه يرفض لأن القوانين لا تخوّله بذلك من دون مهمّة رسميّة، فما كان منها إلا أن تسير في الطقس الماطر تحت مظلّتها التي تصارع الريح، لتبدأ الكاتبة بسرد الأحداث والإضاءة على شخصيتي (تالا وباسل)، عبر التذكّر والاسترجاع، فقد تعرّفت عليه في بداية سفرها إلى حلب لمباشرة التعليم في ريف حلب، وكانا يخطّطان للزواج لولا هذه الحرب الغادرة، التي نسفت المخطّطات كلّها، فتمّ الاحتفاظ به، وانتهت حياته الجامعيّة، وحُوصر أكثر من مرّة، وأُصيب أكثر من مرّة، وعادت هي لتدرّس في ريف اللاذقيّة، وتفاجئنا بأنّه فقد إحدى عينيه بشظيّة غادرة.

وتتصاعد الحوادث حين نعلم أنّ الأهل يضغطون علها لتزويجها، وتتأزم أمورها حين يستشهد زوج شقيقتها؛ لتعود إلى أهلها برفقة طفلة صغيرة، إضافة إلى مشكلة أخرى واجهتها مع أخيها الذي يرغب في الإسراع بتزويجها؛ لأنه هو الآخر يريد أن يتزوّج في بيت العائلة، فهو مرتبط منذ سنوات، ولم تتحسّن ظروفه.

إنّها الحرب مرةً أخرى، يُضاف إليها الظرفُ الطارئ في ظل وباء الكورونا، حيث نسيت والدتها لانشغالها بمتابعة المستجدات في الأخبار أن تسألها عن سبب خروجها من البيت في وقت الحجر الصحّي. هو حبٌّ في زمن الكورونا، وفي زمن الحرب أيضاً... باسل الذي تحمّل أعباء السفر من أجلها ينتظرها، والطّريق إلى كليّة الآداب طويل، والطقس ماطر، فتصاب بنوبة عطاس شديدة، ولأنّها تخاف عليه، استدارت عائدة قبل أن تصل إليه بعدة خطوات، خوف أن تنقل إليه العدوى، فراح يركض خلفها ليمسك ذراعها موبّخاً: (ستظلّين طفلة، هل أنتِ معلّمة حقّاً)، وتنتهي القصّة حين يُهديها علبة «كمامات» في عيدها، تقول الكاتبة: (وضحك، وضحكت بقامتها القصيرة التي لم يُفلح كعبها العالي معها كثيراً، بينما استطاع هو أن يفعل، ويرفعها عالياً في سماء الحبّ، حيث كانت الشمس تلوح لتنعكس ألوان قوس قزح في قلبيهما، ويُزهر ربيع من أمل).

وثمّة قصة أخرى، هي (لو) تستقي أحداثها من زمن وباء الكورونا، ويأتي الحدث متساوقاً مع عنصري الزمان والمكان، وتبدو البطلة في القصة قد ودّعت حبيبها، مستعيدةً لحظات سابقة، بعد مرور أربعين يوماً على الحجر الصحّي، تقول الكاتبة: (أربعون يوماً مرّت على الحجر الصحي ومازال شبح الموت جاثماً على شرفات بيوتنا، ينهش تفاصيلنا، ويتحكّم في سيرها كيف تشاء)، وبعد مرور أربعين يوماً تقرّر البطلة، التي توحّد صوتها بصوت الراوي، أن تصعد إلى سطح البناء الذي تسكن فيه، لتلقي نظرة على لاذقيتها، تحنو على بحر هائج وتحاول عبثاً تهدئته.